المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الرابع والثلاثين

١ مارس (اذار) سنة ١٩٠٩ — الموافق ٩ صفر سنة ١٣٢٧

مجلس المبعوثان والوزارة العثمانية

حدث في الشهر الماضي حادث كبير في الممالك العثمانية . اجتمع مجلس المبعوثان واسقط الوزارة اي اقترع على عدم الثقة بها وقبل جلالة السلطان ذلك واستدعى وزيرًا آخر لتأليف وزارة اخرى ترضى بها الامة . وهي اول مرة اسقطت فيها الامة العثمانية وزارتها او اضطرت الوزارة ان تستعفي لانها رأت ان الامة غير راضية عنها

وقد رأينا في تفصيل ذلك في المقتطف فائدة تاريخية وبلسماً للجراح القديمة لا من حيث استعفاء كامل باشا فانهُ من افضل الوزراء العثمانيين ان لم يكن افضلهم بل من حيث اعطاء الامة حقوقها والرضوخ لارادتها

وتفصيل ذلك ان كامل باشا امر رضا باشا ناظر الحربيَّة ان يرسل فرقاً من الجيش الذي في الاستانة الى يانيا لتسكين الهياج فيها فاحال الناظر الطلب الى هيئة اركان الحرب فرفضت ذلك بحجة ان لا حقّ للصدر الاعظم في تعيين صنف الفرق والجنود التي ترسل بل لهُ ان يطلب ارسال جنود وهيئة اركان الحرب تعينها فساء ذلك الصدر الاعظم وعزل رضا باشا ناظر الحربيَّة من نظارتهِ وعينهُ قومسيرًا عالياً لمصر فرفض هذا التعيين وشكا منهُ الى مجلس المبعوثان . وكان ناظر البحرية عارف باشا قد استعفى منذ خمسة عشر يوماً ورفض الصدر الاعظم قبول استعفائهِ فعاد وقبلهُ حينئذٍ وعيَّن حسني باشا بدلاً منهُ . ولما علم ما فعلهُ الصدر الاعظم استعفى حلمي باشا ناظر الداخلية وحسن فهمي باشا رئيس شورى الدولة ورفيق بك ناظر العدلية وبنوا استعفاءهم على ان عزل كامل باشا لناظري الحربيَّة والبحريَّة مخالف لاصول الحكومات الدستورية

واجتمع مجلس المبعوثان يوم السبت في ١٣ فبراير وطلب من كامل باشا ان يحضر اليهِ ويجيب عن سبب عزلهِ لناظر الحربيَّة وناظر البحريَّة . وكانت بعض الجرائد قد اشاعت ان الصدر الاعظم عزل الناظرين لانهُ اكتشف مؤَامرة تدبرها جمعيَّة الاتحاد والترقي على خلع السلطان ولما ضلع فيها ولكن جمعية الاتحاد والترقي كذَّبت خبر المؤَامرة كل التكذيب وبيَّنت ان لا اساس لهُ . وافتتح احمد بك رضا جلسة مجلس المبعوثان الساعة الثانية عشرة وقرئَ محضر الجلسة السابقة والاقتراحات وكلها تتعلَّق بسؤَال الصدر الاعظم عن عزل ناظري الحربيَّة والبحريَّة فأمر الرئيس كاتب السر ان يقرأَ اعتذار الصدر الاعظم عن الحضور حينئذٍ وطلبهُ ان يؤَجل حضورهُ الى جلسة يوم الاربعاء

فهاج المجلس وماج وقامت قيامة النوَّاب عليهِ الَّا نواب الاحرار فانهم صوَّبوا طلبهُ قائلين ان القانون يبيح لهُ ذلك . ولكن الفريق الاكبر من النواب الحوا طالبين حضورهُ حينئذٍ وفسَّروا عزلهُ لناظري الحربية والبحريَّة بقولهم ان الصدر الاعظم يشاهد طوابير الجنود تتمرَّن حوالي يلدز فيرى انهُ لا يمكن العود الى الحالة القديمة ما دامت تلك الجنود هناك فسعى في ابعادها عن الاستانة ومرادهُ ان يعين للبحرية ناظرًا يوافقهُ على مرامهِ ويحبس الاسطول العثماني . فاذا حبس الاسطول وذهبت العساكر والجمت أَلسنة الجرائد بقانون المطبوعات الجديد سهل حل مجلس المبعوثان وارجاع الحكم السابق . فلما رأَى رئيس المجلس الحاحهم طالبين حضور كامل باشا حالاً وايضاحهُ لما جرى قال انهُ سيبلغهُ ذلك تلفونيًا وينتظر جوابهُ وتوقفت الجلسة ساعة ونصف ساعة ولما وصل جوابهُ عادت الجلسة الى الانعقاد وتلي جوابهُ فاذا هو يقول فيهِ ان اعداد الاوراق اللازمة لذلك وبعض المهام السياسية يضطرانهِ ان يؤَجل الايضاح المطلوب الى يوم الاربعاء فلا يستطيع المجيءَ الى المجلس قبل ذلك اليوم

فزاد النواب حينئذٍ هياجًا ووقف اسمعيل حقي بك مبعوث بغداد وطلب الاقتراع على الثقة بالوزارة او بالصدر الاعظم فاقترع المجلس على احقية طلبهِ فوافق عليهِ بمئة صوت وصوتين وباشروا الاقتراع على الثقة وكلَّم الصدر الاعظم حينئذٍ بالتلفون ان المجلس هائج ضدهُ وان الاغلبيَّة عليهِ لا معهُ فارسل احد ياورانهِ الى الرئيس يقول اذا كان المجلس يرفض تأجيل الايضاح الى يوم الاربعاء فانا اقدم استعفائي وانشر ايضاحي على صفحات الصحف والتي كل تبعة في ذلك على المجلس

اما اعضاء المجلس فقابلوا قول الصدر الاعظم انهُ يستعفي بالتصفيق الشديد وأُكمل جمع الاصوات على الثقة بالوزارة فنال الصدر الاعظم ٨ اصوات من ٢٠٤ اي ان ١٩٦ مبعوثًا

صوَّتوا ضده . وزار رضا بك (رئيس مجلس المبعوثان) مساء يوم السبت سراي يلدز وعرض الامر على جلالة السلطان فاستطلعهُ جلالتهُ رأيهُ في هل يرضى المبعوثان بتعيين حسين حلمي باشا صدرًا اعظم فاجابهُ بالايجاب فاصدر جلالتهُ الامر باستدعائهِ اليهِ وناط بهِ تأليف الوزارة . اما شيخ الاسلام فاراد جلالتهُ ان يبقيهُ في منصبهِ لكنهُ اصرَّ على الاستعفاء فطلب جلالتهُ منهُ كشفًا باسماء الذين يصلح تعيينهم لهذا المنصب واختار سماحة ضياء الدين افندي شيخًا للاسلام

ونشرت جرائد الاستانة يوم الاثنين نص الخط الهمايوني بتعيين حسين حلمي باشا صدرًا اعظم وهذا تعريبهُ

وزيري سمير المعالي حسين حلمي باشا

بناء على انفصال كامل باشا بسبب الاحوال الحاضرة وبناء على صداقتكم واهليتكم عهدنا اليكم مسند الصدارة والى ضياء الدين افندي قاضي عسكر روملي مسند المشيخة وكلفناكم بانتخاب بقيَّة النظار وعرض اسمائهم علينا . وحيث ان الزم ما عندنا المحافظة على القانون الاساسي ودوام الامن والسلام في المملكة وعمرانها وسعادة رعايانا واستكمال اسباب الرفاهية فاقصى رغائبنا ان تصرفوا مساعيكم وغيرتكم في سبيل ذلك جعلكم الحق مظهرًا للتوفيقات الالهية

٢٢ محرم ١٣٢٧ عبد الحميد

وأرسل باش كاتب المابين التلغراف التالي الى مجلس المبعوثان

الى رئاسة مجلس المبعوثان الجليل

احيطكم علمًا انهُ قد عهد مقام الصدارة مع نظارة الداخلية الى حضرة حسين حلمي باشا ومقام المشيخة الى حضرة ضياء الدين افندي قاضي عسكر روملي كما عهد الى حضرة حسين حلمي باشا تأليف الوزارة الجديدة

فاجتمع حسين حلمي باشا بالرجال الذين اراد تأليف وزارتهِ منهم وبعد بحث طويل تألفت الوزارة الجديدة هكذا

حسين حلمي باشا للصدارة والداخلية

ضياء الدين افندي للمشيخة الاسلامية

رفعت باشا (السفير في انكلترا) للخارجية

حسن فهمي باشا لرئاسة شورى الدولة

علي رضا باشا للحربية

رضا باشا (ناظر الطوبخانة السابق) للبحرية

ضيا باشا للمالية

رفيق بك للعدلية

عبد الرحمن باشا للمعارف

نوردنجيان افندي للنافعة

ماوروفورداتو افندي للمعادن والحراج

ضيا بك (مستشار الصدارة) للاوقاف بالنيابة

وعرضت اسماء النظار على السلطان وصدرت الارادة السنية بتعيينهم ومثلوا بين يدي جلالتهِ يوم الاثنين وحلفوا يمين الاخلاص

وارسل حزب الاتحاد والترقي الى جريدة التيمس تلغرافاً يقول فيهِ انهُ وان كان كامل باشا قد اضطرنا الى اسقاط وزارتهِ بسبب افعالهِ المخالفة للدستور فنحن نرى من الواجب علينا ان نعلن للامة الانكليزية صريحاً ان الواجب على كل صدر اعظم يخلفهُ ان يتبع ويرقي سياستنا الصريحة الحب والوداد لانكلترا طبقاً لمشيئة الامة العثمانية كلها ونحن واثقون مع ذلك ان صداقة انكلترا القديمة العهد العظيمة الثمن لبلادنا لا ينظر فيها الى الافراد بل الى الامة العثمانية باسرها وواثقون ايضاً انهُ يمكن لحكومتنا ان تعتمد على ميل انكلترا اليها لكونها امة صديقة لها

وخلاصة ما جرى ان مجلس المبعوثان تسلّح بالدستور العثماني واسقط الوزارة سواء كانت تستحق ذلك او لا تستحقهُ فاستدعي جلالة السلطان رجلاً يرضى بهِ مجلس المبعوثان وكلفهُ تشكيل وزارة جديدة وقد تمَّ كل ذلك طبقاً للقانون كأنهُ جرى في انكلترا اقدم البلدان في الجري على الحكم الدستوري وهذا ما تتمناهُ كل امة تريد ان يكون حكمها في يد نوابها

ثم ان الصدر الجديد اتى مجلس المبعوثان في ١٦ فبراير وخطب فيهِ خطبة وجيزة اعرب فيها عن خطة وزارتهِ وهي لا تختلف عن خطة الوزارة السالفة ومدارها بذل الهمة في توطيد دعائم الامن والعدل ونشر التعليم والاحتفاظ بصداقة الدول وحل المشاكل السياسية بالحكمة وحسن التدبير . وكل الذين يعرفون كامل باشا واصالة رأيهِ آسفون لتركه مقاليد الحكومة وهم آسفون ايضاً لان ناظم باشا لم يعين في هذه الوزارة وعسى ان يرى فخامة الصدر سبيلاً لضمهِ اليها

مجاري العاصمة

صممت الحكومة المصرية اخيرًا على عمل مجاري العاصمة اي على الاعمال الهندسية اللازمة لتنظيف مدينة القاهرة من مياه الامطار ومما يتجمع في كنف منازلها ونقل كل ذلك الى مكان بعيد في جهة الخانقاه حيث يعالج بطريقة تصيره ماء وسمادًا وتروي بهِ نحو الف فدان من الاراضي الرملية وتسمدها فتصير مثل اجود الاطيان الزراعية . وعزمت ان تزيد عوائد الاملاك في العاصمة حتى تصير عشرة في المئة من ايجارها وهي الآن ٨ وربع في المئة وجمعت الجمعية العمومية واخذت مصادقتها على ذلك

وقد وضع سعادة اسمعيل باشا سري ناظر الاشغال العمومية مذكرة في هذا الموضوع تلاها في الجمعية العمومية هذا نصها بقليل من التصرف

لما كانت الشروط الصحية في المدينة غير مستوفاة حتى في المساكن المستجدة التي فيها خزانات منتظمة لما فيها من العيوب ولما كانت المجاري المعدة لتصريف مياه الامطار لا تعم الاَّ جزءًا يسيرًا من المدينة فعند نزول الامطار ولو قليلاً تغطي الاوحال الشوارع والحارات التي لم ترصف في الاحياء الوطنية لكثرة المرور فيها والاحياء التي شوارعها مرصوفة يكون تنظيفها في ايام المطر صعبًا وكثير التكاليف اهتمت الحكومة منذ عشرين سنة بايجاد الدواء الشافي لهذه العلة فقررت استقدام احد المهندسين الاختصاصيين في سنة ١٩٠٦ لتحضير مشروع كافل بتنظيف مساكن المدينة وطرقها بصفة مستديمة فقام هذا الاختصاصي بتحضير المشروع وقد اتمهُ ورفع بهِ تقريرًا الى الحكومة مؤداه ان تسلط المرتفقات والبالوعات التي في المساكن والمساجد وغيرها على مجارٍ توضع تحت دكة الشوارع والحارات وهذه المجاري تصب في مجرى عام يمرُّ بترعة الجبل الى حد عزبة العرب ثم في ترعة اسكندر حتى ينتهي قرب كفر الجاموس . وفي نهاية المجرى العام المذكور تقام طلمبات لرفع المواد الى مجرور آخر مرتفع يمر في ترعة اسكندر حتى يصل الى نقطة في ذيل التلال الرملية شرقي اسبتالية المجاذيب بالخانقاه وفيها تبنى حياض التطهير

وبعد تطهير المواد في الحياض المذكورة واماعتها تستعمل لري مساحة من الاراضي الرملية تبلغ نحو الف فدان وبالنظر لما تحويهِ من العناصر المغذية للنبات فلا شك في جودة المحصولات التي تنتج منها وقد تقوم بايفاء جزء كبير من نفقات حفظ المجاري وصيانتها

هذا ونظرًا لوجود المدينة في منخفض ولأن المواد يلزم توصيلها الى مكان بعيد عنها

فلا يمكن تصريفها بالراحة انما يوجد جزء يمكن تصريف موادهِ بهذه الكيفية في المجرى العام الموصل الى الطلمبات وهذا الجزء يشمل جهات العباسية والمطرية ومدينة عين شمس الجديدة وسراي القبة وما جاورها من المساكن

وفيما عدا هذا الجزء فباقي المدينة بما فيهِ جزيرة الروضة (التي ستوصل مجاريها بسحارة تحت النيل الى المجرى العام) تصرف موادها بالطريقة المعلومة في عرف المهندسين بطريقة المناطق وهي تنحصر في تقسيم المسطح الذي يراد تصريف المواد منهُ الى مناطق يعمل لكل منها جهاز يرفع المواد الى مجرى مرتفع يصب في المجرى العام

ولاعتبارات فنية ومالية قد قرّ الرأي على استعمال الهواء المضغوط في الاجهزة المعدة لرفع المواد في كل منطقة وهذه الاجهزة تتحرك من نفسها وتوضع في باطن الارض حتى لا يشم منها ادنى رائحة

اما الهواء المضغوط فيولد بآلات تقام عند فم الترعة الاسماعيلية القديم قرب قصر النيل ومنها يوزع على الاجهزة الرافعة الخاصة بالمناطق المختلفة

ولتصريف مياه الامطار تبقى المجاري الموجودة الآن التي يصب بعضها في الترعة الاسماعيليَّة والبعض الآخر في النيل ثم تعمل مجارٍ اخرى لتصريف مياه الامطار التي تقع في الزيتون وما جاورها في ترعة الجبل اما باقي جهات المدينة فتصرف مياه الامطار منها في مجاري المواد . ومياه الامطار التي تقع في جزيرة الروضة تصرف في النيل

ومن ضمن مشروع المجاري بناء نحو اربعمائة محل للمرتفقات في كل منها عشرة مراحيض وجميع الشوارع والحارات الواقعة في الاحياء الوطنية التي لم ترصف بالمكادام يقضي المشروع برصفها بهِ اذ بدون ذلك لا يمكن منع الاوحال ونزولها في المجاري وسدها حين وقوع الامطار وقد اشغلت الحكومة كثيرًا مسألة المواد اللازمة لبناء المجاري اذ كان يظن في بادىء الامر انهُ يلزم جلبها كلها من الخارج باثمان باهظة ولكنها وجدت في جهة اصوان ما يلزم من الطين الابليز الجيد لعمل الطوب وبرابخ الفخار اللازمة للمجاري لانهُ يلزم ان تكون كلها من الآجر المتين . وتفهم اهمية المسألة عند ما يعلم ان المقادير اللازمة هي ٢٥ مليون طوبة و٢٠٠ كيلو متر من البرابخ الفخار

ومن المنظور ان تستغرق اعمال المجاري عشر سنوات على الاقل

ويظن كثير من الناس انهُ عند حفر الشوارع والحارات لوضع المجارير ستسوء الحالة الصحية فلتطمينهم نقول انهُ نظرًا لقلة عرض الحفر وعمقها لا يحصل شيء مما يظن خصوصًا

وان الاتربة تطهر حال استخراجها من تلك الحفر وما كان منها غير لازم للردم فوق المجاري ينقل بعيداً

اما تكاليف المشروع فقدرت كما يأتي

٤٠٠٠ جنيه	للاراضي التي تروى من المواد بعد تطهيرها واماعتها
٧٤٠٠٠	لعمل حياض التطهير
٣٩٤٨٠	للجرور العام المرتفع الواصل بين الطلمبات وحياض التطهير
١١٤٤٠٥	للطلمبات التي توضع قرب كفر الجاموس وقوتها ٩٠٠ حصان
١٧٦٨٨٠	للجرور العام الواصل الى طلمبات كفر الجاموس
٢٤٠٦٨٠	للمجاري الصغيرة وطولها ٢١٨٨٠٠ متراً
٣٢٧٢٠٠	آلات واجهزة الهواء المضغوط
٥٠٨٢٠	وسائط الصرف في جهة الزيتون وما جاورها
٢٥٠٠٠	تحسين وتمديد مجاري صرف مياه الامطار الحالية
١٠٨٨٤٦٥	
٠١٦٣٢٧٠	احتياطي وهو ١٥ في المئة
١٢٥١٧٣٥	والجملة

ويضاف الى هذا المبلغ تكاليف رصف الشوارع والحارات في الاحياء الوطنية غير المرصوفة وهي بحسب تقدير مصلحة اعمال المدينة ٥٠٠٠٠٠ جنيه فتكون الجملة العمومية ١٧٥١٧٣٥ جنيه

وقدرت تكاليف ادارة وحفظ وصيانة اعمال المجاري سنوياً كما يأتي

٩٦٠ جنيه	خدمة تملية (دائمة)
١١٨٨	" ظهورات وانفار مياومة لطلمبات كفر الجاموس
١٣٢٠	" " لآلات الهواء المضغوط
١٥٧٠٠	فحم وزيت الخ
٢٧٤٨	خدمة متنقلون
٢١٩١٦	والجملة

وزيادة على ذلك يلزم ان يضاف الى هذا المبلغ ثمن المياه التي تلزم للمراحيض العمومية ولطرد المواد ومنع رسوبها في المجاري . وحيث ان كمية المياه التي تلزم لهذا الغرض سنوياً هي

٨٠٠٠٠٠ متر مكعب وثمن المتر المكعب بحسب شروط شركة المياه هو ٨ مليمات يكون الثمن الكلي ١٤٤٠٠ جنيه ولكن لما كان المنظور ان الشركة تتساهل مع الحكومة حتى تجعل ثمن المتر المكعب ٤ مليمات يكون المبلغ اللازم دفعهُ ثمناً للمياه سنويًّا ٧٢٠٠ جنيه وتكون جملة ما يلزم صرفهُ على المجاري سنويًّا من ادارة وثمن مياه وحفظ وصيانة ٢٩١١٦ جنيهاً

هذا ويلزمنا ان لا ننسى ايضاً قيمة ما سيصرف سنويًّا لحفظ وصيانة الشوارع والحارات المزمع رصفها بالمكادام في الاحياء الوطنية وقد قدرت بمبلغ يتراوح بين ٨٠٠٠ جنيه و٩٠٠٠ جنيه . انتهى

يظهر مما تقدم ان الاموال اللازمة لانشاء مجاري العاصمة تبلغ مليونًا وربع مليون من الجنيهات وان الاموال اللازمة لاستعمالها وحفظها بعد عملها مع ثمن الماء اللازم لذلك تبلغ ثلاثين الفاً الى اربعين الفاً من الجنيهات اي فائدة مليون من الجنيهات وعليهِ فستكون الاموال اللازمة لانشاء مجاري العاصمة واستعمالها وحفظها مليونين وربع مليون ولا يبعد ان تصل الى ثلاثة ملايين من الجنيهات

ولا شبهة ان نظافة العاصمة من الاقذار والادران والاوحال امر لازم ومستحبٌّ لذاتهِ فضلاً عن انهُ يقلل امراضها ويزيد صحة سكانها ويرغب السيَّاح في اطالة الاقامة فيها فتربح منهم ربحاً ماليًّا لا يستهان بهِ

ولا شبهة عندنا ايضاً ان الذي وضع هذا المشروع وقدَّر نفقاتهِ امين يوثق بهِ ولكننا نجد في المشروع امرين حريين باعادة النظر

الاول انّنا لا نرى وجهاً لجعل مشروع المجاري يعم العباسية والمطرية ومدينة عين شمس الجديدة فان اراضيها رملية تغور فيها المياه بسهولة

والثاني ان في ارض القاهرة وكل اراضي القطر المصري شيئًا لا مثيل لهُ في بلاد أُخرى. والمهندسون الصحيون الذين لا يلتفتون اليهِ بل يبنون احكامهم على ما يرونهُ في اوربا يخطئون. وهذا الشيءُ هو ان مياه النيل تصعد في الارض على اثر ارتفاعهِ وتهبط على اثر انخفاضهِ فتذيب كل ما في آبار الكنف وتأخذهُ معها حينما تغور في الارض فلا يبقى منهُ شيءٌ ضارٌّ ابدًا لان التراب افضل المطهرات اما اذا بنيت الآبار مصمتة فالمبرزات تحفظ فيها ويجب كسحها حينئذٍ وهو الاسلوب الذي اوجبتهُ الحكومة في كل المباني الجديدة ولعلَّها اخطأَت فيهِ. فهل تدبَّر واضعو هذا المشروع ذلك ورأَوا انهُ لا يمكنهم ان يستفيدوا من هذه الحالة الخصوصية بوجه من الوجوه

الهجاء

اني على كراهيتي للهجاء قدر رأيتني مضطرًا الى انشاء مقالةٍ فيهِ اودعها تعريفهُ وذكر المشاهير من رجالهِ ودواعيهُ واساليبهُ وابيّن ان مدح من يتنكّب المنهج القويم اكبر هجوٍ للمادح وان هجوهُ والتشنيع عليهِ حسنةٌ يتبرّع بها الشاعر على الانسانية بل قربة يتقرّب بها الشاعر من ربهِ

الهجاء سيف الشاعر يجرّدهُ متى غضب وسنانهُ يطعن بهِ اذا حنق بل علاجهُ الذي يعالج بهِ الاخلاق المعتلّة وعقابهُ الذي ينزلهُ باعداء الامانة والوفاء . فكم من كهلٍ (١) رمى بهِ الشعراء في جحيم العار يصلي نارها ما اوقد الناس نارًا وكم من جائر طاغيةٍ القوهُ في جهنّم الهمجيّة والوحشيّة وتركوهُ يقاسي من عذابها فوق ما قاسى الضعفاء منهُ . فيا ما امرّ ما انزل ابو نواس بمن قال فيهِ

سيّان كسر رغيفهِ او كسر عظمٍ من عظامهْ
فارفق بكسر رغيفهِ إن كنت تطمع في كلامهْ

ويا ما اضنك موضعًا القى اليهِ مهجوًّا لهُ بقولهِ

خان عهدي عمرو وما خنتُ عهدهْ وجفاني وما تغيّرتُ بعدهْ
ليس لي مذ حييتُ ذنب اليهِ غير اني يومًا تغدّيتُ عندهْ

ويا ما احرّ هجو القائل في لئيم

رأى الصيف مكتوبًا على باب دارهِ فصحّفهُ ضيفًا فقام الى السيفِ
وقلنا لهُ خيرًا فظنّ بأننا نقول لهُ خبزًا فمات من الخوفِ

ويا ما أوجع هجو القائل في ظالم يتظاهر بالصلاح

قد بلينا بأمير ظلمَ الناسَ وسبّحْ
فهو كالجزّار فينا يذكر الله ويذبحْ

ومن نيران الهجاء المتأججة هجو ابي العباس الكوراني اهل فاس بقولهِ

مشى اللؤم في الدنيا طريدًا مشرّدًا يجوب بلاد الله شرقًا ومغربا
فلما اتى فاسًا تلقاهُ اهلها وقالوا لهُ اهلاً وسهلاً ومرحبا

وهجو الطرمّاح لبني تميم

(١) الكهل الغني الشحيح

تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا　　ولو سلكت سبل المكارم ضلّتِ
ارى الليل يجلوهُ النهارُ ولا ارى　　خلال المخازي عن تميمٍ تجلّتِ
ولو انّ برغوثاً على ظهر قملةٍ　　يكرُّ على صفّي تميمٍ لولّتِ

وهجو الخوارزميّ لطبيبٍ

لم ارهُ الاّ خشيت الرّدى　　وقلت يا روحي عليكِ السلامْ
يبقى ويفنى الناس من شؤمهِ　　قوموا انظروا كيف نجاة اللئامْ
ثم نراهُ آمنا سالمًا　　يا ملك الموتِ الى كم تنامْ

وهجو حبيبٍ الطائي ابا الوليد محمد بن ابي دؤاد

أتطمع ان تُعَدَّ كريم قومٍ　　وبابك لا يطيف بهِ كريمُ
كمن جعل الحضيض لهُ مهادًا　　ويزعم انَّ اخوتهُ النجومُ

وهجوهُ لمحمد بن حسن الشاعر

تكلَّمَ فيَّ من يعلو بذكري　　ويخفضني بذكريهِ الكلامُ
يلوم على هجائيهِ الكرامُ　　وإن لم اهجُهُ لام اللئامُ
فكيف تصرَّفت في ذاك حالي　　تعاورني من الناسِ الملامُ

وقول جرير

فغضّ الطرف انك من نميرٍ　　فلا كعبًا بلغتَ ولا كلابا

⁂

المشاهير من الهجائين

قلّ شاعر لم يرشق بنبال الهجاء من يحقرهُ او يؤذيهِ من اهل عصرهِ غير ان في الشعراء من تجافي طباعهم ان ترد مواردهُ فاذا ثقل على واحدٍ من هؤلاء امرٌ ما او ضاق صدرهُ عن حال ما عاذ بالهجاء ذاهبًا بهِ مذهب الحكيم تفاديًا من التصريح باسم المهجوّ واشفاقًا عليهِ من لصوق العار بهِ او تحامي اذاهُ ومن ذلك هجو ابي تمام لبعض بني حميد

اذا جاريت في خُلُقٍ دنيًّا　　فانت ومن تجاريهِ سواءْ
رأيت الحرَّ يجتنب المخازي　　ويحميهِ عن الغدرِ الوفاءْ
فلا واللهِ ما في العيش خيرٌ　　ولا الدنيا اذا ذهب الحياءْ
اذا لم تخشَ عاقبة الليالي　　ولم تستحيِ فاصنعْ ما تشاءْ

وهجوه لمن سرق شعره

مَنْ بنو بحدلٍ مَن ابن الحباب ِ   مَن بنو تغلب غداة َالكُلاب (١)
مَنْ طُفَيل مَنْ عامر ومَن الحا   رث أم مَن عُتَيبة بن شهاب ِ
انما الضيغم الهصور ابو الاشـ   ـبال مناع كل خيس (٢) وغاب ِ
من عدت خيله على مسرح (٣) شعري   وهو للحين رائع في كتابي
غارة اسحنت عيون القوافي   واستحلت محارمَ الآداب ِ

فمن يقرأ مثل هذا الهجو فان كان ممن له علم بواقعة الحال عرف المعرّض بهم كما يُعرف الشيء بالايماء اليهِ والأَ عدَّ ذلك من باب الحكم والنصائح

وفي الشعراء من اذا خُيب امله او رُدَّت شفاعتهُ او لم تُسن جائزتهُ اشتاط غضباً واتقد سخطاً على مَن اخذ عليهِ طريق الوصول الى مقصودهِ حتى تخيله كبريتاً مستهُ النار بل بارودًا القيت عليهِ الجمار

فهؤلاء حملة لواء الهجاء وناشرو اعلامهِ . ومن مشاهيرهم الحطيئة وابن المنير الشاعر وبشّار بن برد الاعمى . والسائب ابو العباس الاعمى الشاعر المكي . وعز الدين الاربلي وابن شيرويه الديلي ومحمد بن سعيد القيرواني وابن رشيق وابو سعد الكرماني وابن الجهم والبحتري وابو تمام وابن القطان وابن عُنين وابن بسام صاحب الذخيرة وابن الرومي وابو الطيب المتنبي وجرير والاخطل والفرزدق . ولا يخلو عصر من شاعرٍ يشتهر بقرض الاعراض وهتك الاستار

***

مقام الهجاء في الناس

ان للهجاء مظاهر تختلف باختلاف المهجو فتارة يظهر رجلاً مهيباً بل اسدًا مفترساً تخشى وثبتهُ او افعوانًا تقتل لدغتهُ فاذا سأل أُسئل واذا شفع شُفع واذا عتب أُعتب وذلك كله اتقاء شره وحذر الوقوع في لسانهِ . وقد جرى هذا المجرى مروان فانهُ بعد ان كان في نيتهِ ان يحدّ الفرزدق و يسجنهُ قيل له اخطأت فيما فعلت فانك عرضت عرضك لشاعر مضر . فوجه وراءه رسولاً ومعهُ مائة دينار وراحلة خوفاً من هجائهِ . ولا غرو "فعداوة الشعراء بئس المقتنى" وبمثل هذا يعظم شأن الهجاء و يعلو امرهُ وتقبل عليهِ الدنيا

ولكن اعلم انهُ لا يراه اسدًا ولا افعوانًا الا ضعفاء الانام او من لهم من الرؤساء فعلات

(١) الكلاب بالضم : ماء جرت فيهِ وقعة بين اخوين شرحبيل وانصاره ومسلمة وانصاره فقتل شرحبيل
(٢) الخيس : غابة الاسد (٣) الابل الراعية

تحت الستار او قبائح تحت الحجاب . وطورًا يظهر طريدة صائد او فريسة سبع او قنص خبيث وذلك متى انزل هجاءه بذي سلطةٍ لا يغلّ يدهُ شيءٌ عن مدها اليهِ بالاذى فقد ينزلهُ من ظهر الارض الى بطنها وقد يقتصر على اذلالهِ بالحبس او التغريب فهذا ابن المنير قد سجنهُ بوري اتابك صاحب دمشق وعزم على قطع لسانهِ ثم شفع فيهِ فنفاهُ . وهذا ابن الجهم قد هجا المتوكل فغرّبهُ الى خراسان ولما انتهى الى شاذياخ نيسابور سجنهُ طاهر بامر المتوكل ثم اخرجهُ فصلبهُ مجردًا نهارًا كاملاً . وهذا الحطيئة القاهُ الامام عمر في البئر لهجوهِ الزبرقان ولم يخرجهُ حتى استعطفهُ بابياتٍ من الشعر . وقد بلغ الهجاء بابن الرومي الى ان دُس لهُ السم في الطعام فكان آخر عهدهِ بالحياة . وقد اورد الهجاء بشارًا حوض المنية قال البطري « كان سبب قتل المهدي لبشار ان المهدي ولى صالح بن داود اخا يعقوب بن داود الوزير ولاية فهجاهُ بشار بقولهِ :

همُ حملوا فوق المنابر صالحاً اخاك فضجت من اخيك المنابرُ

فبلغ يعقوب هجاهُ فدخل على المهدي وقال لهُ ان بشارًا هجاك فطلبهُ المهدي فخاف ان يدخل عليهِ فوجه من القاهُ في البطيحة فمات

وممن نصب لهم الهجاء احابيل الهلاك ابو الطيب المتنبي فانهُ لما كان راجعاً من عند عضد الدولة بن بويه الديلمي عرض لهُ عند دير العاقول فاتك بن ابي جهل الاسدي في عدةٍ من اصحابهِ وكان المتنبي في جماعةٍ من اصحابهِ فقُتل ابو الطيب وابنهُ محسَّد وغلامهُ مفلح وما جرّ اليهِ الموت الاَّ هجاؤهُ لاخت فاتك المذكور

***

المهاجاة

لكن اذا دارت المهاجاة بين الشاعرين يخلع الهجاء صورة الاسد الوثاب والافعوان المنساب ولا يظهر بمظر الطريدة او الفريسة بل ينقلب عدوًا مهاجماً او خصماً مدافعاً . وكلا الشاعرين يتأهب للقاء الآخر ويكرّ عليهِ بكتائب من الاستهزاء والتحقير وبيان المثالب حتى يسوّد اسمهُ ويمزق عرضهُ . وامضى الشعراء هجوًا من كان مرّ النفس مترفعاً عن الفحش فانهُ بالبيت الواحد يكاد يسقط بالمهجو عن مقامهِ وهو لا يخرج عن ادبهِ ولا ينحط عن رتبتهِ وذلك كقول زهير يهجو آل حصن

فما أدري ولست اخال ادري أقومٌ آلُ حصنٍ ام نساءُ

وهذا خير مذاهب الهجاء وانقى اساليبهِ ولا يلزمهُ الاَّ من يحاذر ان يصاب بسهمهِ او يجرح

بحسامهِ . وافضل الهجاء ما لا يقبح بالعذارى ان ينشدنهُ في خدورهنَّ . وعندي ان الهجاء الذي يرافقهُ خوف من سطوة المهجو يخرج بحلةٍ طاهرةٍ غير ملوثةٍ بدنس المباذأة والمقاذفة فان الخوف خير مؤدّب فيكون كالسهم الصائب وقد موّه بالذهب . ومتى كان الهجاء لا يأنف من الفحش ولم يكن وراءهُ ما يخيفهُ كان قلمهُ كقصبة بيت الماء فتنصرف النفوس عن انشاد اهاجيهِ واذا كان في الديوان بيوت دنسة وقصائد بذيئة اعرض الادباء عنهُ اعراض الناس عن الجيف

وفي المهاجاة التي وقعت بين جرير والفرزدق والاخطل ابيات يخجل الكاتب ان يتمثّل بها كما يخجل المتكلم ان ينشدها ولا سيما في عصر التهذيب وكان الخليق بهؤلاء الثلاثة ان تكون طريقتهم في الهجو كطريقتهم في علوّ النظم حتى يقتدى بهم في الادب كما يقتدى بهم في اساليب البلاغة وتحبير الكلام . وما احراهم ان يرعى كلٌّ حرمة الآخر ولا سيما وهو يعلم انهُ ينازل من هو كفوءهُ وفي طبقتهِ ولكنها الاعصار تتباين فيها العادات وتتباعد المشارب ولولا هذا ما كنت ترى كلاًّ منهم يقذف الآخر بماء القذر اقلّ نجاسةً منهُ . ولولا هذا ما كان يجري على السنتهم من اللفظ البذيء مثل ما اودعتهُ دواوينهم بل كان كل هجائهم من مثل قول جرير في الاخطل

لو ان تغلب جمّعت احسابها يوم التفاخر لم تزن مثقالا

والحاصل ان الفحش في الهجاء يغضّ من الهاجي فوق ما يغضّ من المهجوّ . وهنا يخطر لي ما جاء في الامثال من قولهم "كلّ اناء يرشح بما فيهِ" ومن قولهم ايضاً "كمالك تحت طيّ لسانك لا تحت طيلسانك"

ومن الاهاجي ما هو كحصاةٍ ترشق على جدار فلا تضرُّ المهجوَّ شيئاً وذلك كأن يهجى المرء بخمول ابيهِ او باحترافهِ الحرف الدنيئة او بسبب وطنهِ وذلك كقول بعض الشعراء في هجو المتنبي

اي فضلٍ لشاعر يطلب الفـ ـضل من الناس بكرةً وعشيّا
عاش حيناً يبيع في الكوفة المأ ـء وحيناً يبيع ماء المحيّا

وكهجو ابي الفرج الاصفهاني لابي سعيد السيرافي

لستَ صدراً ولا قرأت على صد رٍ ولا علمك البكيُّ بشافِ
لعنَ الله كلّ نحوٍ وشعرٍ وعروضٍ يجيُّ من سيرافِ

وينتظم في هذا السلك هجو احد الشعراء للمبرّد صاحب كتاب الكامل

سألنا عن ثمالة كلّ حيّ فقال القائلون ومَن ثماله
فقلت محمد بن يزيد منهم فقالوا زدتنا بهم جهاله

وكذا هجاء نفطويه لابن دريد اشعر العلماء واعلم الشعراء

ابن دُرَيدٍ بقرَهْ وفيهِ عيٌّ وشرَهْ
ويدَّعي من حمقهِ وضع كتاب الجمهرَهْ
وهو كتاب العين الاّ انهُ قد غيَّرَهْ

فلم يغضّ المجاء من المتنبي ولا السيرافي ولا المبرّد ولا ابن دريد ولم ينزل بواحد منهم عن منصة الكرامة ولا زحزحهُ عن مرتبة الفضل . ألا وان آثارهم شاهدة لهم بطول الباع مكذبة لاهاجيّ حسّادهم . هذا وفيما زيّنت بهِ اعيان الفضلاء تراجمهم من القاب الاجلال اكبر دليل على ان سهام من يهجوهم قد طاشت واخطأت الغرض وكذا هجاء الحاسدين يكون

***

دواعي الهجاء

لا داعية للهجاء النافع في تهذيب الاخلاق كالتوغل في المذام والمساوىء التي تجتاح الآداب وتهدم اسوار القوانين فهو حينئذٍ كالعقوبة على الجناية . واما ما كان داعيةُ الحسد والغرض منهُ الغض من كبيرٍ فاضل او عالم نافع فلا يأتيهِ الاَّ من لا اخلاق لهُ من الادب . فهذا عصرنا الذي لا يعدد فيهِ من كسروا قيود الشرائع لم نرَ الشعراء قالوا في واحدٍ منهم اهجوَّة تبقى عقوبةً لهم ومن يحذو حذوهم على وجه الدهر . فما كان اسير الاهاجي التي تساق اليهم وتنضي سيوفها على كل مما لهم . فهؤلاء هم احق بالهجاء من ممدوح لا يجيز المادح ومن شحيح لا يجود على فقير . ولو سلك الشعراء هذا المسلك في من يفسدون الاخلاق الكريمة ويدخلون العادات الذميمة ويأكلون حقوق الناس لكانوا من اعاظم اعوان النجاح واكابر انصار الانسانية ولرُزِقوا من حظ الاشتهار ما لا يرزقونهُ في غيره من ابواب الشعر ولنالوا من شرف الاستشهاد باشعارهم ما تنالهُ الآيات المنزلات وكانت هيبتهم في النفوس هيبة الحاكم العادل ومقامهم في الناس مقام المهذب الفاضل . هذا وان الاخلاق والآداب تستصرخ الشعراء والكتّاب ليداووا جراحها بمقالات وقصائد تصور شناعة المثالب وتمثل قباحة المذام وتأبى المروَّة الاَّ ان يجيبوا والله من وراء الاجر

سعيد الخوري
الشرتوني

الحشوية والوهابية

قلما قام بين المصلحين احدٌ بفكرة اصلاحية او مشروع جديد ولم يقم في وجههِ من ابناء جلدتهِ مناهضٌ ينوص للفتنة كل مناص فيتخذهُ سُبَّة يتقوَّل عليهِ مختلق الاقاويل وينقل عنهُ مختلف الاحاديث مما هو ليس من الحقيقة في شيءٍ . فان كان من اهل الحكمة والسداد وُصم بخرق في الرأي او من اولي الخير والصلاح رمي بشبهةٍ في الدين . او كان من حملة العلم الصحيح غمطوا من قدرهِ ولم ينصفوهُ وربما أَلَّبوا عليهِ طغمة الجهل وزعانف القوم فيذهبون بارائهِ مذاهب شتى وقد يوقعونهُ في الردى فيجنون على العلم والدين جناية تدور مع الأحقب كما وقع ذلك لكثير من مشاهير المشارقة والمغاربة

على حين ان ذلك المصلح لم يأتِ امرًا ادًّا يأباهُ العقل والدين وما ذنبهُ سوى انهُ اتى بما لا عهد لابناء الوسط بهِ او لم يجدوا عليهِ آباءهم . وقد سمَّى حجة الاسلام الغزالي امثال هؤُلاء المناهضين حشويَّة . وهم اليوم ضروب فمنهم حشويَّة الدين وحشويَّة العلم وحشوية السياسة

واشدُّ ما لقي المصلحون من شيوخ السوء حشويَّة الدين الجامدين في سبيل الدعوة الى الحق وما نالهم من النكبات ماديًّا وادبيًّا . ومهما يحاول هؤُلاء عرقلة مساعي اولئك او اضطهادهم وظفرهم بامنيتهم في بعض الاحايين فانهم ليحاولون المستحيل في الضغط على تلك الموهبة الفكريَّة التي امتاز بها اولئك المصلحون عن غيرهم من البشر — الميزة التي ولدت لهم اعداء الداء يحسدونهم في السراء والضراء ويرمونهم بما هم منهُ براءٌ كما هو الحال الآن في حشويَّة الدماشقة ورميهم علماءهم الاطهار واحرارهم الاخيار بالوهبنة تارةً والزندقة تارةً اخرى أَلا وان التاريخ يعيد نفسهُ فقد مثَّل لنا رمي هؤُلاء الحشويَّة للمصلحين بالوهابيَّة رمي الروافض لاهل السنة بالنواصب وتلقيب القدرية لهم بالمجبرة وتسمية الجهميَّة لهم بالمجسمة المشبهة . على ان هذه الاقاويل لا تغمط من قدرهم ولا تحطُّ من علمهم شيئًا بل على العكس من ذلك فانها قد تكون واسطة لرفعة شأنهم وتالق شهرتهم كما قال الغزالي : « واستحقر من لا يحسد ولا يقذف واستصغر من بالكفر او الضلال لا يعرف فاي داعٍ اكمل واعقل من سيد المرسلين (صلعم) وقد قالوا انهُ مجنون من المجانين واي كلام اجمل واصدق من كلام رب العالمين وقد قالوا انهُ اساطير الاولين . . . » ومن ذلك قول ابن حزم : « ومن حقق النظر وراض نفسهُ على السكون الى الحقائق وان آلمتها في اول صدمة كان اغتباطهُ

بذم الناس اياهُ اشد واكثر من اغتباطهِ بمدحهم اياهُ ...»

بيد اني مع كل هذا وذاك اراني في حاجة شديدة تدفعني الى ان أُلفت انظار الجمهور الى انهُ لايسوغ الاعتماد في مثل هذه الحال على تقول الخراصين من اولئك الطغام الحشويَّة انصار الحزب القديم او الاخلاد الى الجمود على ما نقل عنهم هؤلاء ومن لفَّ لفهم من الغاغة. اذ لو اخذنا القول على عواهنهِ كما يلقى على مسامعنا جزافًا دون بحث ولا نظر لاختلط الحابل بالنابل والعالم بالجاهل ولم نعد نميز بين من كان في قومهِ مثال الكمال فاتى باعمال عظيمة واحسن صنعًا وبين من كان شرًّا مجسمًا فعاث في الارض فسادًا وساء عملاً

وللوقوف على جليَّة الامر يجب ان نقلب صفحات التاريخ وننظر ما أُثر عنهم من نثي وقول وما ابقوا من عمل . ولا يكفي ذلك لمعرفة حقيقتهم تمام المعرفة بل يجب ان نستقرئ حركاتهم ايام حياتهم استقراء علميًا دقيقًا ثم بعد ذلك يخول لنا ان نحكم عليهم بعد ان كنا تصوَّرناهم حق التصوُّر فان وجدناهم طبق ما يقال عنهم قبلناهُ وحولنا مجرى افكارنا والاَّ رفضناهُ باخمص اقدامنا وضربنا بهِ عرض الحائط

ومما يجري هذا المجرى وتجدر العناية بهِ واعطائهِ جانبًا من التمحيص والتدقيق مسأَلة (الوهابيَّة) التي طار في عامة الاقطار نبأُها واستمت زمامها (الحشويَّة) فاصبحت تديرها ما شاءت وشاء لها الهوى حتى غمض الحق على طالبيهِ فذهب بين جهل شيوخ السوء واغراض اعداء التجديد . وما كان احرى بهؤُلاء ان لا يخوضوا في هذه المسأَلة فقد آل نبأُ الوهابيَّة الى ان صار سمرًا وفكاهات ومن ذلك ان كل من روى من المدرسين او الخطباء احاديث في الشرك جليًّا او خفيًّا يتناجون بانهُ يرمز للوهبنة ويسمونهُ (وهابيًا) وهكذا اشاعتهم عن غرف القراءة العامة التي أُسست في حاضرتنا حديثًا ونوهت بها جرائد سورية وبيروت بانها منتدى الوهابيَّة . ومن النكت الغريبة ان احد الشيوخ عندهُ لوح مكتوب عليهِ كلمة (ياوهاب) وعليهِ أُطار نفيس فقيل عنهُ انهُ لم يؤثر هذه القطعة الاَّ لانهُ مغرىً بالوهابيَّة ومغرم . وكذلك من كان اسمهُ (عبد الوهاب) صار يقال لهُ ان اباهُ كان وهابيًا حتى أُثر تسمية ابنهِ باسم زعيم تلك الفئة مع ان زعيمهم يدعى « محمد بن عبد الوهاب » فكان الاجدر تسميتهم (محمديَّة) . وهكذا قل عن تلقيبهم الاهرام والمقطم واشباههما بانها جرائد الوهابيَّة. ومثلهُ تشهيرهم بان كل من هاجر من وجه الاستبداد نازحًا عن بلادهِ هو من الوهابيَّة وكذلك ابطال الحريَّة وخطباء الدستور مما يضحك الثكلى و يبكي العاقل

وهكذا الحال الآن فلا تسمع في المنتديات عامة كانت او خاصة الاَّ الوهابية والوهبنة

لكل من انكر منكرًا او ناقش في امرٍ او بحث في مسئلة . وقد عرف الجميع سر المسئلة بل انقلب على القائمين على الوهابيَّة الأمر وانعكست القضيَّة اذ زرعوا في اذهان العامة من الرجال حتى النساء متفرداتهم وما يؤثر عنهم واصبح كثير يدقق في تلك المسائل ويلهج بها ويسائل عنها النبهاء المنورين ليصل الى اصلها . وكثيرٌ من اولي السذاجة والفطرة توهَّبن بفضل تلك الثورة التي هاج ثائرها منذ عهد غير بعيد

ولقد كان بعض الفلاسفة يسر جدًّا باشهار بعض المسائل ولفظ العامة بها او اضطهاد الحكومة لاجلها فيقول : " لا انجع من ذلك لاشهار امرها وادخالها الى كل اذنٍ ودار " وكان يقول : " لو شعر الثائرون في وجه امرٍ والقائمون عليهِ ماذا ينتج تثويرهم وهياجهم من رد الفعل وانعكاس الامر عليهم لقبعوا رؤُسهم ولم ينبسوا ببنت شفة "

***

قالوا : " الحقيقة بنت البحث " نعم . وهذا ما حدا بي الى ان آتي في هذه العجالة على نتفٍ من حقيقة امر هؤُلاء الوهابيَّة ليتبين الرشد من الغي ويعلم اولئك المموهون ان للحق انصارًا وان التاريخ لا يترك كبيرةً ولا صغيرةً الاَّ احصاها . وبعد فمن هم اولئك الذين يُفترى عليهم ما يفترى ؟

هم اولئك الطائفة الحنابلة التي تتمذهب بمذهب الامام احمد وعقيدتهِ لم يخرجوا عنها قيد شبرٍ وهم يتبرأُون من الشرك الجلي والخفي الذي حذر منهُ النبي (صلعم) وهم يعتقدون ان الله سبحانهُ اقرب الى الانسان من حبل الوريد وانهُ على كل شيء شهيد وانهُ امر ان يدعى وحده كما جاء في الاية : " قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن " وفي أُخرى " ادعوني استجب لكم " وانهُ يتوسل اليهِ باسمائهِ الحسنى وصفاتهِ العليا

هم اولئك الذين يقدمون احاديث النبي (صلعم) وآثار اصحابهِ على غيرها ومذهبهم في صفاتهِ تعالى مذهب السلف لا تشبيه ولا تعطيل " ليس كمثلهِ شيءٌ وهو السميع البصير "

هم اولئك الذين على مذهب اهل السنة والجماعة (السلف) يمقتون المعتزلة والخوارج وكل فرقةٍ ليست على مشرب السلف الصالح ولا همَّ لعلمائهم الاَّ البحث في الاصول والفروع ولا لعامتهم الاَّ السعي وراء الاكتساب والاتجار وهم لا يأْكلون لحم اخ بغيبة ولا يمشون بنميمة ولا تبدر على أَسلات السنتهم بوادر القذف ولا يسلسون لانفسهم العنان فينهمكون في الفحش والموبقات وهم ليسوا بثعالب روَّاغة يمكرون او يخدعون وهم احرارٌ جادون في طلب العلم اينما حلوا وحيثما وجدوا

وانك لا تراهم مرّة لاعبين او عابثين وهم يفرون من البدع فرارهم من المجذوم وبالجملة فماذا يقال عن اخلاص قوم عُرفوا بالتمسك في الاسلام وهم في مقدمة كل طوائفهِ ايماناً وايقاناً . ويرحم الله احد الافاضل حيث قال : "لو تجسم الاسلام بانسان لكان اهل نجد رأسهُ"

هذا ما نعرف عنهم كما دلتنا عليهم مصنفاتهم التي ألفها اهل الراي الراجح والعلم الصحيح منهم كما رأينا ذلك في غير واحدٍ من التواريخ التي تبين سيرتهم احسن تبيان كتاريخ (الجبرتي) وغيره . واذا لم تكن هذه الطائفة كما ذكرنا فليأتنا المعاندون ببرهان من كتبهم يناقض ما نسطرهُ هنا او فليدلوا بحجة ما تخالف ما نقولهُ ان كانوا من الصادقين

ليت شعري بما يجيب ذلك المعاند الذي يرميهم بانواع الكفر والضلال اذا قلت : بانهم يقيمون الصلوات الخمس باوقاتها ويؤدون زكاة اموالهم بانصبائها وانهم يصومون شهر رمضان ويزورون البيت الحرام على الطريقة المأثورة ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً

ماذا يكون جوابي اذا رفعت عقيرتي قائلاً انهم فئة يكدون ويكدحون في جهاد هذه الحياة ويفارقون الاهل والاوطان ابتغاء النفع والانتفاع والكسب من الحلال فيتجرون بالعقود المشروعة ولا يتحيلون لشبهاتها بل ولا يرضون ان يعيشوا عيشة الاذلاء الانذال كلاً على غيرهم

نحن نسأل ذلك الرجل الذي يرميهم بشبهة في دينهم : هل رأى واحداً منهم في حانات الخمور ثملاً معربداً او بين اذرع المومسات ضاحكاً مستبشراً ؟ .. او هل يقدر ان يثبت انهم اكلوا اموال الناس بالباطل واختلسوا المدارس باموالها واوقافها

ولقد علم قيامهم بشعائر الدين في حلهم وترحالهم وتصلبهم في ذلك والتورع في معاملاتهم كل من خبرهم كما عرف ذلك منهم معاملوهم من التجار في كل قطر ومصر . بيد انهُ انتقد عليهم مسائل اشتهرت ويرى الجمهور فيها نظراً وقد كثرت عليهم الردود لاجلها وربما كان في تلك الردود شية من الحق ولكن على الباحث ان ينصف . والحق يقال ان زعيمهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يأتِ بشيءٍ من عندهِ وانما دعا الى نصوص ظفر بها وعثر عليها وهي لمن تقدمهُ من الائمة المشاهير ممن سبقوا على عصره بنحو ستمائة سنة

ولا ريب ان من تقدمهُ كانوا ائمة مجتهدين عرفهم التاريخ والمجتهد مأجور باتفاق علماء المذاهب على الاطلاق ولا ينكر على امام مجتهد على كل حال

وانها لكلمة ذهبية فاه بها الامام مالك (رضي الله عنهُ) قائلاً : ما منا إلا من ردَّ او رُدَّ عليهِ إلَّا صاحب هذا القبر (يعني النبي صلعم) والحق ضالة كل احدٍ المنشودة تؤخذ من

اي وعاء خرجت وعن اي صدرٍ صدرت . وما على الراد الاّ ان ينبذ الهوى والعصبيَّة وان يقف عند حدود آداب الجدل والمناظرة وينظر في اقوال محاورهِ نظر المنصف الحكيم وكما يجب ان يراجع الردود يجب عليهِ ان ينظر في ردود الردود ليزداد بصيرة وعلماً وينجلي لهُ الحق تمام الانجلاء

ولئن كان يؤثر عنهم تنطُّع وغلوّ في بعض المسائل فما من احدٍ الاّ وعُدت عليهِ هفوات ماخلا المعصومين . والاصل الاصيل هو الاعتصام باصول الايمان وقواعد الايقان . وعلى فرض تنطعهم وغلوهم فهم لم ينفردوا بذلك اذ لم يخلُ مذهبٌ من متنطعين غالين يرون ما هم عليهِ صواباً وما لغيرهم خطأً إلا ان كل متنطع في اي مذهب كان اول من يبرؤُ منهُ المنصفون المعتدلون من اهل مذهبهِ فاحرِ بغيرهم

ويكفي مريد الحق وطالب الانصاف في شأن الوهابيَّة ما كتبهُ شيخ الفقهاء الحنفيَّة بمصر المؤرخ الشهير الامام الجبرتي فليتتبعهُ المنصف بدقة وليتأمل ما يقضيهِ العقلاء وما يحكم بهِ المنصفون . وحرامٌ على من لم يراجع تاريخ الجبرتي في شأنهم ان يبهتهم رجماً بالغيب وهو مطبوع ومتداول يمكن ان يستقرئ هذا البحث منهُ في نحو يوم فليهمل الطالب همتهُ ولينزع عنهُ عصبيتهُ ليرى صدق ذلك الفاضل بقولهِ " لو تجسم الاسلام بانسان الخ . . " ويعلم ان بعض الظن اثم

ما كان الجبرتي وهابيًا ولا نجديًّا ولا حنبليًا وانما كان حنفيًا بل مفتي الحنفية في مصر في عهد المرحوم محمد علي باشا الذي حاربهم . ما منع الجبرتي وهو مفتي عاصمة مصر تدر عليهِ مرتبات محمد علي ان يتكلم بالحق في الوهابيَّة ومحمد علي يحاربهم ما احتفظ عليهِ بذلك ولا كادهُ ولا اضمر لهُ السوءَ ولا رمتهُ علماء الازهر بالوهبنة مع انتشار كتابهِ في ايديهم والشغف بنسخهِ وعدّ الظفر بهِ من اعظم الكنوز العلميَّة التي تتزين بها المكاتب

لمَ ذلك يا ترى ؟ . .

لان محمد علي عاقل حكيم منصف محب للعلم والحقائق لا يرى ان حربهم الاّ لامر سياسي وهو الاستعمار وان لا حرب في المسائل الدينية ولان العلماء في الازهر أئمة فضلاء يذعنون للحق وينقادون لهُ وهم يرون أمثال ماينشرهُ الجبرتي عنهم حقائق لا تشوبها شائبة وهم ولا إيهام

وبعد فلسنا نقول ذلك تشيعاً لهم او تحزباً فان ذلك من شأن المتعصبين الجامدين بل دلالة على مكان المدح وحذرًا من بخس الناس اشياءهم واستبراء للدين من قذف البريء وبهت المؤمن وفي ذلك عبرة لقوم يذكرون

باحث دمشقي

ندوة العلماء ودار العلوم

انشأ مسلمو الهند جمعيَّة علميَّة دينيَّة سموها ندوة العلماء وقد اهتمت هذه الندوة بانشاء مدرسة كبيرة سمتها دار العلوم واحتفلت في آخر شهر نوفمبر الماضي بوضع حجر زاويتها. وقد وصفت ذلك مجلة البيان التي تطبع في مدينة لكنوٴ ببلاد الهند فقالت ما خلاصتهُ

عقدت حفلة ندوة العلماء في ٢٨ و٢٩ و٣٠ نوفمبر الفارط في مدينة لكنوٴ فامها المسلمون من كل الاصقاع من الامراء والعلماء والوجهاء وكانت الحفلة بهيجة لم يرَ الناس مثلها في حسن انتظامها وبلاغة ما أُلقي فيها من الخطب الداعية الى نشر المعارف واعادة مجد العربية في بلاد الهند ومحو المراسم والبدع التي تجري عليها العامة باسم الدين ورفع الخصام الملي واصلاح ذات البين وتوطيد الاخاء والوئام بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم وآرائهم. وتمت الحفلات ولم يحدث فيها ما يريب ذوي الالباب او يشين الجمعية المعروفة بندوة العلماء

وقد اجتمع في هذا الاحتفال جمهور كبير من صنوف الناس فيهم المسلمون والافرنج والهنود وكان بين المسلمين اهل السنة وعلماؤهم والشيعة ومجتهدوهم والمقلدون والمستقلون والصوفيَّة والاحناف والوهابية والمتفرنجة. وهو اول اجتماع ديني حفل اهل المدن المختلفة كأَنما هو طاقة رياحين مختلفة نفحاتها والوانها

ولما حانت الساعة المعينة اتى الوالي السر جون هويت وقرينتهُ فاستقبلها اعضاء الندوة واتوا بهما الى الدكة المقامة لجلوسهما فجلسا على كرسيين من الفضة وافتتح الاحتفال بعد ان تلا القارئ آيات من القرآن الحكيم وقُدمت الى الوالي عريضة الحال فاجاب عنها بخطبة مسهبة اثنى فيها على الخطة التي سارت عليها الندوة من رفع الخصام ونشر المعارف الحديثة ممزوجة بعلوم الدين وعدَّ اعضاء الندوة من مخلصي دولتهِ. وقام بعد ذلك مع جماعة من وجهاء المسلمين ووضع حجر اساس المدرسة

اما عريضة الحال التي قدمتها الندوة اليهِ فهذا نصها على ما في مجلة البيان

مولانا الاكرم: نحن اعضاء ندوة العلماء نرحب بكم من حيث كونكم نائب الحكومة في هذه الايالة ونشكركم على اجابتكم دعوتنا لوضع حجر اساس دار علوم الندوة فيشكركم على ذلك كافة المسلمين فان الندوة كأَنها لسان حال الامة ولا يوجد قيد شبر من الارض الأ وفيهِ انصارها وحماتها وقد استبان بهذا ما للدولة الانكليزية من التسامح الديني الذي هو من مزايا الامة الانكليزية خاصة والذي هو ملاك والحكومة عمودها فان الندوة ليست الأجمعية دينيَّة

مولانا الاكرم: نحن نستدعي من حضرتكم ان تسمحوا لنا بابداء مطالب الندوة وطوارئها التي من احد مظاهرها الجلية دار علومنا هذه

مولانا الاكرم: ان المسلمين منذ وجدوا الى يومنا هذا لم تزل فيهم طائفة تلقّب بلقب العلماء وهم قادة الحزب الاسلامي في امور الدين واحكامهِ والامة كانت تقفو اثرهم وتتبع هداهم في كل ما يتعلق بالدين ولو في امور الدنيا وكانوا انموذجاً لتمدن الاسلام ومكارم اخلاقهِ. والامر الذي استوجب وجود هذه الطائفة هو ان ما تتقوم بهِ جنسية المسلمين ليس خصوصية الاقليم ولا الشعب ولا الامرة كما هي للامم الاخرى بل كل من اعتنق دين الاسلام يحصل لهُ كل ما كان للمسلمين قاطبةً على اختلاف جنسيتهِ وعشيرتهِ ومبدئهِ ولما لم يكن للمسلمين حزب ليختص بدعوة الدين كانت الامة تحتاج الى مثل هذه الطائفة لكي لا تحيد عن قصد المحجة وهذا الامر دعي الى ان نشأت طائفة كبيرة من العلماء لا يقل عددهم عن امثالهم في الامم الاخرى. ومن مزية امم الاسلام ان العلم كان فيها يكتسب لاجل العلم فقط مع صرف النظر عن كل مرعًى. وغاية ما في هذه الامة من احترام العلم والخضوع لهُ والتفاني فيهِ امر لا تشاركها فيهِ امة حتى ان الرؤُوس المتزينة بالتيجان كانت تخضع لهُ كرامة والحق ان تأخر الامة ما كان الّا بعد ما فقدت هذه الطائفة مزاياها فذهب ما كان لها من المكانة عند القوم وحينئذٍ حرمت الامة من قيادتها وتبدد نظامها وعند ذلك اشتغلت هذه الطائفة بمحقرات الامور وبلغ الحال الى ان رفعت الشكاوي الى المحاكم السلطانية فقام حينئذٍ حزب من العلماء لسد الخلل واقامة معالم الاصلاح وكان من اول مظاهرهِ هذه الجمعية المسماة بالندوة انعقدت حفلتها الاولى في كانفور سنة ١٨٩٣ م وفي سنة ١٨٩٨ م صادقت الحكومة عليها رسميًا وبلغت حفلاتها اثنتي عشرة حفلة اجتمعت فيها العلماء وعامة الناس على اختلاف اهوائهم واذواقهم. اما مطالب الندوة فتنحصر مهامها في اربعة امور

(١) ترقية المدارس العربية واصلاحها

(٢) رفع المخاصمات الدينية

(٣) اصلاح امور المعاشرة والاخلاق

(٤) نشر الاسلام وكل ما يتعلق بالمنافع العمومية

في بدء الامر ظهر الترحيب بالندوة من جميع الامة كافة فتوسعت حينئذٍ في مطالبها وكان من اول مساعيها انها اجتهدت في رفع الخصام الحادث في اخراب الامة واصلاح ذات البين وفازت في ذلك الى حد لا يستهان بهِ وكذلك سعيها بتخفيض نفقات عوائد الفرح والالم

لم يذهب ادراج الرياح ثم ان الندوة اقامت دارًا للافتاء في لكنؤ ومحلاً للايتام في كانفور

ولكن كان اهم مطالبها امر التعليم فأُصلح ما فسد منهُ ليكون سببًا لوجود شرذمة تهدي الناس في الامور الدينية . ومن البيّن ان التعليم الصحيح هو الذي يزيل كل داء اعترى الامة وحجزها عن سبيل رقيها ونظرًا الى ذلك اسست الندوة في سنة ١٨٩٨ م مدرسة سمتها بدار العلوم كانت في اول الامر مدرسة ابتدائية ثم تحولت الى كلية في سنة ١٩٠١ م وصارت كأنها اساس جامعة دينية

ولما كان امر التربية اعظم خطرًا من التعليم تأسست دار اقامةٍ للطلبة

ولكن كان من شؤم الحظ ان الامة لم تقدر مسعى الندوة حق قدرهِ فالفئة القديمة اساءت الظن ان ادخال الفلسفة الجديدة في نصاب التعليم يورث وهنًا في الدين حتى الفت كتب ورسائل في تكفير حزب الندوة

وفوق ذلك ان الناشئة الجديدة ايضًا كانت تتقاعد عن الاخذ بناصرنا فانها كانت تحسب ان الندوة تقيد حرية الافكار وكانوا عاجزين عن فهم منافع احياء العربية اصلاً ومع ان الندوة كانت درية لسهام كلتا الطائفتين لم تزل لها قدم ولزمت محجتها واختارت لنفسها جادة وسطًا فرتبت نصابًا جديدًا رجح فيهِ جانب الادب والعلوم الدينية ومع ان دار العلوم لم يمضِ عليها ردح من الزمان انشأت تلاميذ يقدرون على ارتجال الخطب من غير روية وهذا شيء لم يسبق لهُ مثيل وكان يعد امرًا نادرًا في ابان الحكومة الاسلامية ايضًا وقد اضفنا في نصاب التعليم الفلسفة الجديدة وكانت هذه بدعة تعد كفرًا في المدارس القديمة . ومما زادت الطين بلة انا ادخلنا في نصابنا تعليم اللسان الانكليزي لزومًا فكان من ثمرتهِ حرمان الندوة من بعض المساعدات المالية حتى ان بعضًا منهم استرجع ارضًا كان وقفها على دار العلوم ولم نالُ جهدًا في الاستفادة مما لاهل الغرب من الاكتشافات الجديدة في العلوم العربية

وخزانتنا تحتوي على اكثر ما كتبهُ المستشرقون في امثال هذه المسائل وعلى كتب غير هذه تصلح ان تكون زينًا لكل متحف علمي وتلامذتنا لهم مزيد شغف في الاستفادة عن تلك الخزانة ويوجد فيهم من يكتب في مجلة الندوة مقالات علمية يستحق التنويه بها

والآن اردنا ان تنشئ لجنة يكون اعضاؤُها تلامذة مدرستنا الذين يقفون حياتهم على الفحص عن المسائل العلمية المهمة

فبناء على ما توارثنا من آبائنا لا نأخذ للتعليم اجرة ونريد ان نوسع نطاق التعليم حسبما تعيننا على ذلك المساعدات المالية ومن اهم مزايا مدرستنا ان الذين بقوا على الحيادة عن

المدارس الدولية لاجل التعصب الديني او لاجل عدم الثروة لا ينحون الآ الى مثل التعليم الذي اختارتهُ الندوة فانها جعلت تعليمها تحت سيطرة التعليم الديني

ونحن نجترئ على ان نعرض على مسامعكم ان دار علومنا مع قلة بضاعتها وقصر باعها اربت على امثالها من كلا النوعين بنوع خاص فانهم ابعد ذيلاً عن التقشف وبراء من الفخفخة الفاسدة ومع ان مدرستنا لا تقدر على احداث طائفة يصلحون للتوظف في اعمال الدولة ولكن نحن على ثقة ان مدرستنا تنشئ رجالاً يقدرون على اطفاء الثورات الحالية التي تريد امحاء سيطرة الخالق والمخلوق معاً رجالاً يكون من شيمتهم الاستكانة للاكابر والمواساة للجار والتواضع للعامة وفوق كل ذلك الانقياد للحكومة والخضوع لها

فمدرستنا تنفخ في طلبتها روح المسامحة الدينية التي فتحت ابوابها لكل حزب فلم تعتنِ طلبتنا ولا اساتذتهم بالمشاجرات التي حدثت اليوم بين الفئتين العظيمتين من المسلمين وعلماء لجنتنا لا يزالون يدعون الناس الى الخير والصلح فنرجو من دار علومنا والمدارس التي تتبع سبيلها انها تخرّج طلبة سيسودون الامة ويملكون ازمتها مرة اخرى ويحسمون التشاق ويشقون عصا النفاق ويصيحون لتوسعهم في المعارف الحديثة والقديمة واسطةً موصلةً بين الفئة الناشئة وحزب التقهقر العتيق ونحن على يقين من ان المسلمين كما يسلم اذعانهم لحكومتهم يزيدون من هؤلاء العلماء الناشئين طاعة وانقياداً للحكومة . والآن نقدم الى جنابكم ازكى التشكرات حيث تفضلتم علينا بقطعة من الارض لنرفع عليها قواعد مدرستنا وبعد ذلك نحن نشكر الذين بلغنا من مساعدتهم ومساعيهم الى هذا الحد ونخص من بينهم اولاً سمو النظام امير حيدر اباد الذي نعترف جود امارتهِ من نعومة اظفارنا وان لم نرزق زيارتهُ حتى الآن وبعد ذلك نؤدي مفترض الولاء الى سمو الملكة اميرة بوفال التي تمنحنا وظيفة سنوية ونبث ايادي امارة باولفور التي رفدت اميرتها غير ما تسمح بهِ امارتها سنوياً بمنحة تساوي خمسين الف روبية هيأتنا لنتشرف بان يضع سعادتكم حجر اساس كليتنا

ونرى من واجباتنا ان نذكر من غير هؤلاء الكرماء الذين اخذوا بايدينا وساعدونا بما توخينا من الخير كرنل خان بهادر عبد المجيد خان وزير خارجية امارة بلياله ونحن نشكر المستراي ال ساندرس والمستراس ايج بطلرسي . اي . اي والمسترال ام جاپانك الذين نصرونا بتحصيل القطعة التي انعمتم بها علينا وفي الختام نحن نشكر جنابكم من صميم افئدتنا حيث نصرتمونا مما ثنيتم الينا من اعنة فضلكم ونعيد مرة اخرى تشكرنا الذي نقدمهُ الى جنابكم حيث قبلتم ان تضعوا بيدكم الكريمة حجر الاساس . والآن نسألكم ان تأخذوا بهذا العمل الخطير الذي يبقى على كر الدهر

الحالة المالية

انتهى العام بخسارة على القطر المصري لم تقع في عام من الاعوام السالفة منذ الاحتلال البريطاني الى الآن فان قيمة الواردات زادت فيهِ على قيمة الصادرات نحو اربعة ملايين من الجنيهات فاضطر القطر ان يدفع هذه الاربعة الملايين من النقود التي كانت عندهُ او يستدينها او تبقى ديناً عليهِ . وقد ذكرنا في الجدول التالي قيمة الصادرات والواردات في كل سنة من السنين العشرين الاخيرة

السنة	قيمة الصادرات	قيمة الواردات
١٩٠٨	٢١ ٣١٥ ٦٧٣	٢٥ ١٠٠ ٣٩٧
١٩٠٧	٢٨ ١٠٣ ١٨٥	٢٦ ١٢٠ ٧٨٣
١٩٠٦	٢٤ ٨٧٧ ٢٨٠	٢٤ ٠١٠ ٧٩٥
١٩٠٥	٢٠ ٣٦٠ ٢٨٥	٢١ ٥٦٤ ٠٧٦
١٩٠٤	٢٠ ٨١١ ٠٤٠	٢٠ ٠٥٩ ٥٨٨
١٩٠٣	١٩ ٥٣٩ ٥٢٤	١٦ ٧٥٣ ١٩٠
١٩٠٢	١٨ ٠٤٦ ٩٣٩	١٤ ١٨٤ ٦٨٤
١٩٠١	١٦ ١٥٣ ٩٦٤	١٥ ٢٤٤ ٩٣٨
١٩٠٠	١٧ ١٢٤ ١١٤	١٤ ١١٢ ٣٧٠
١٨٩٩	١٥ ٦٥٨ ٩٥٦	١١ ٤٤١ ٨٠٢
١٨٩٨	١٢ ٠٧٠ ٠١٢	١١ ٠٣٣ ٢١٩
١٨٩٧	١٢ ٥٥٢ ٦٣٩	١٠ ٦٠٣ ٦٧٢
١٨٩٦	١٣ ٤٤٢ ٢٧٩	٩ ٨٢٨ ٦٠٤
١٨٩٥	١٢ ٨٤٦ ٥٩٧	٨ ٣٨٩ ٩٣٣
١٨٩٤	١٢ ٠٧٨ ٣٨٤	٩ ٢٦٦ ١١٦
١٨٩٣	١٢ ٩٥٤ ٣٥٢	٨ ٧١٨ ٧٣٥
١٨٩٢	١٣ ٠٠٥ ٧٩٦	٩ ٠٩١ ٤٨١
١٨٩١	١٤ ٠٢٠ ٣٧٠	٩ ٢٠١ ٣٩٠
١٨٩٠	١٢ ٠٠٤ ٢٥١	٨ ٠٨١ ٢٩٧
١٨٨٩	١٢ ٠٦٦ ٤٩٩	٧ ٠٢٠ ٩٦١

ويظهر من ذلك ان قيمة الصادرات كانت تزيد دائماً على قيمة الواردات ولاسيما في اوائل سني الاحتلال ولم تختل هذه القاعدة الاَّ سنة ١٩٠٥ فزادت قيمة الواردات قليلاً عن قيمة الصادرات ثم كان ما كان في السنة الماضية اذ نقصت قيمة الصادرات عن قيمة الواردات نحو اربعة ملايين من الجنيهات اي ان القطر المصري اضطرَّ ان يوفي من قيمة صادراتهِ ثمن كل الواردات اليهِ ويوفي ايضاً فائدة دين الحكومة ودين الاهالي للبنوك فان كان قد اوفى كل ما يطلب منهُ فقيمة الصادرات لا تفي بذلك ولا بدَّ من ان يكون قد استعان بنقود كانت مذَّخرة عنده ُ او بنقود استدانها من البنوك . وسيظهر مماَّ يلي انهُ فعل الامرين اي اوفى بقية ثمن الوردات وفوائد الديون من نقود كانت عنده ُ ومن اموال استدانها من البنوك

وظاهر الامر ان الحالة سيئة جدًّا لان قيمة الصادرات نقصت عن قيمة الواردات مبلغاً طائلاً ترزح تحتهُ بلاد غنية وهو نحو اربعة ملايين جنيه كما تقدم وفائدة دين الحكومة نحو ثلاثة ملايين ونصف وفائدة ديون الاهالي واقساطها للبنوك نحو ثلاثة ملايين ونصف والجملة ١١ مليوناً من الجنيهات بقيت مكسورة على القطر في العام الماضي

ولكن الحالة المالية ليست في هذه الدرجة من السوء للاسباب الآتية

اولاً . ان قيمة الصادرات تقدَّر في الجمارك المصرية باقل من قيمتها الحقيقيَّة بعشرة في المئة . والقطن منها خاصة جُعل متوسط ثمن القنطار منهُ في العام كلهِ ٢٦٨ غرشاً اي ثمن القنطار المحلوج المرزوم الواصل الى السفن في الاسكندرية لان اجرة حلجهِ وحزمهِ ونقلهِ الى السفن يأخذها اهالي القطر . ولا نبالغ اذا قلنا ان هذا التقدير ينقص عن الثمن الحقيقي عشرين في المئة وكذا ثمن البزرة فاذا اضفنا الى تقدير الجمارك عشرين في المئة لا نكون بعيدين عن الصواب وهذا يجعل الزيادة في ثمن الصادرات اربعة ملايين من الجنيهات على الاقل

ثانياً . ان سكان القطر المصري يكتسبون من السيَّاح والسفن ومماَّ عندهم من الاسهم والسندات سواء كانت من الدين المصري او من القروض والشركات الاجنبيَّة نحو مليوني جنيه في السنة

ثالثاً . ان قيمة الواردات في العام الماضي من الآلات الحديدية ونحوها بلغت نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات واكثرها لسكة الحديد فالحكومة دفعت ثمنها من اموالها الاحتياطية . وجانب كبير من خشب البناء استعملتهُ الحكومة في مبانيها وما بقي من الآلات والادوات والخشب والحجارة ونحوها استعمل في تشييد المباني فهو رأس مال باقٍ في البلاد .

ولا نخطئ اذا قلنا ان الحكومة ابدلت ثلاثة ملايين من اموالها الاحتياطية ودخلها السنوي بآلات وحجارة واخشاب زادت بها ثروة القطر فهي رأس مال فيهِ. وعليهِ يجب ان يضاف الى حساب القطر اولاً اربعة ملايين حنيه من ثمن الصادرات . ثانياً مليونا جنيه مما ينفقهُ السياح والسفن ومما ينالهُ السكان لما عندهم من الاسهم والسندات. وان يطرح من ثمن الواردات ثلاثة ملايين جنيه مما استبدلتهُ الحكومة واضافتهُ الى الثروة العمومية فيصير مجموع الداخل ٢٧ مليوناً من الجنيهات وصافي الخارج ٢٩ مليوناً من الجنيهات فلم ينكسر على القطر والحالة هذه سوى مليونين من الجنيهات استدانهما الاهالي من البنوك

فحالة القطر المالية ليست سيئة جدًّا كما يظهر بادئ بدء وقد كنا نظن انها اسوأ مما ظهر لنا بعد حساب الداخل والخارج على ما تقدَّم ومع ذلك لا يزال السبيل واسعاً لزيادة "الايرادات" وتقليل "المصروفات" والزيادة تقوم بزيادة الاعتناء بالزراعة حتى يزيد محصولها . فلو بُذلت العناية في العام الماضي لاتلاف دودة القطن ومنع تولُّد الندوة لما نقص محصول القطن كما نقص ولما كان نوعهُ واطئاً كما جاء والفرق من هذا الباب وحدهُ يبلغ اربعة ملايين او خمسة من الجنيهات . واذا زاد الاعتناء بحرث ارض الحبوب وتسميدها فلا يبعد ان يزيد محصول الفدان اردبًا على الاقل وهذا يجعل فرقاً في محصول القمح والذرة لا يقل ثمنهُ عن اربعة ملايين من الجنيهات

واذا اعتنت الحكومة واصحاب الفنادق بترغيب السياح في المجيء الى القطر المصري وقضاء فصل الشتاء فيهِ فلا حدَّ للربح الذي ينالهُ من ذلك فقد احصى بعضهم ان اهالي سويسرا يربحون من السياح كل سنة اكثر من ثلاثة عشر مليوناً من الجنيهات. ولا عبرة بما يقولهُ بعض قصيري النظر من ان ربح الفنادق يذهب الى الاجانب لان اموال الفنادق تنفق كلها في البلاد واذا اشترت بعضها مواد آتية من اوربا فتكون قد دفعت ثمنها عن القطر كأنها اخرجتها من قيمة الواردات التي يجب ان نحاسب اوربا عليها

هذه ثلاثة مصادر كبيرة لزيادة الايراد الاول دفع الآفات عن القطن. والثاني الاعتناء بزراعتهِ وزراعة الحبوب على انواعها حتى يكثر محصولها ويجود. والثالث ترغيب السياح حتى يزيد ورودهم الى القطر المصري وتزيد رغبتهم في الاقامة فيهِ

اما تقليل النفقات فلا يكون في مواد الطعام كالحنطة والدقيق والرز والسكَّر واللحوم على انواعها لانَّ هذه المواد من الحاجيات فاذا كان المستخرج من البلاد لا يكفي لحاجة سكانها فلا بدَّ من جلبهِ من الخارج ولا يكون في مواد الكساء الضرورية لطبقات السكان

ولكنهُ يكون في جلب الصحيح الخالي من الغش من هذه المواد كما سيجيء في مقالة اخرى وفي الكماليات وما لا فائدة منهُ كالخمور على انواعها والتبغ والتنباك . وهاك ثمن ما ورد من هذه الاصناف في العام الماضي بالجنيهات المصرية

الخمر	١٦٦٠٠٢
البيرة	١٠٠٧٤٠
الالكحول	٠٣٩٨٤٧
سائر الاشربة الروحية	١٤٠١٣٤
التبغ	٨٠٨٦٥٧
التنباك	٠٣٢١٤١
السيكار والتبغ المفروم	٠١٩٧٤٤
	١٣٠٧٢٦٥

فهذه مليون وثلث من الجنيهات يمكن الاستغناء عن جانب كبير منها

اما الحبوب على انواعها فمسألتها هامَّة جدًّا ويظهر لنا انهُ يمكن ان يزيد مقدارها كثيرًا اذا سمدت ارضها بسماد كيماوي يزيد المحصول فقد ثبت لكثيرين ان ما ثمنهُ جنيه من السماد الكيماوي يزيد محصول الذرة نحو ثلاثة ارادب او اربعة ويزيد محصول القمح اردبين او ثلاثة

وقد بلغ ثمن مواد اللباس اربعة ملايين من الجنيهات وبينها اشياء كثيرة يمكن الاستغناء عنها قد لا يقل ثمنها عن مليون جنيه اضف الى ذلك الاثاث الفاخر والطيوب وسائر ادوات الزينة مما يبلغ ثمنهُ نحو مليون جنيه ويمكن الاستغناء عن نصفهِ بسهولة والمرجح انهُ يسهل اقتصاد مليون جنيه من ثمن هذه المواد كلها وسيضطر القطر اضطرارًا الى ذلك اذا بقيت الضيقة المالية على ما هي عليهِ الآن

وزبدة القول ان السنة الماضية سنة غير عادية في نقص قيمة صادراتها عن قيمة وارداتها ولكن خسارتها ليست كبيرة جدًّا كما يظهر لاول وهلة وانهُ اذا توفرت الحكومة والامَّة على الاعتناء بالزراعة وترغيب السياح في المجيء الى القطر وتقليل النفقات غير الضرورية زادت الثروة العمومية زيادة كبيرة وكل ذلك من الامور الميسورة

المكتشفات الكبيرة ووسائلها الحقيرة

نشرت مجلة البال مال التي صدرت في اول فبراير مقالة للاستاذ رمسن الكيماوي بيَّن فيها كيف ان كثيرًا من المكتشفات الكبيرة كشف ووسائل المكتشفين حقيرة جدًّا وذكر امثلة لذلك من تاريخ الكيمياء فقال انَّ دلتون ابا الكيمياء كان مدرسًا وكان يبحث في الكيمياء وليس لديهِ سوى ابسط الادوات مما صنعهُ بيدهِ . وهاك مثالاً من التجارب التي جرَّبها فاكتشف بها حقيقة مهمة من الحقائق الطبيعية قال انهُ اخذ كاسًا عادية واسعة من اعلاها ضيقة من اسفلها قطر فوهتها بوصتان ونصف بوصة وعمقها ثلاث بوصات (اي من الاكواب التي توجد الآن في كل بيت) وملأَها ماءً مما كان في غرفتهِ وحرارتهُ مثل حرارة الغرفة ووضع ترمومترًا في الماء بصلتهُ التي فيها الزيبق في اسفل الكاس وقصبتهُ الطويلة التي تقرأُ عليها الدرجات خارج الكاس . ثم احمي محراك النار الى درجة الحمرة وغطس رأْسهُ الحامي في الماء الى عمق نصف بوصة وابقاهُ في الماء نصف دقيقة فقط ووضع بصلة الترمومتر حيث كان رأْس المحراك فوجد ان الماء قد سخن هناك وبلغت حرارتهُ الدرجة ١٨٠ (فهرنهيت) ثم انزل البصلة الى اسفل الكاس فوجد الحرارة هناك بعد خمس دقائق ٤٧ درجة وبعد عشرين دقيقة ٥٢ درجة فاثبت ان الماء ينقل الحرارة من دقيقة الى اخرى خلافًا لما قالهُ الكونت رمفورد العالم الطبيعي قبلهُ

واكثر المباحث الطبيعية التي بحث فيها لم يستعمل لها سوى بعض الخناجر والانابيب وكثيرًا ما كانت تعوزهُ انابيب الزجاج فيستعمل انابيب الخزف بدلاً منها . وقد كانت نتيجة بحثهِ في الغازات والسائلات انهُ توصل الى التعليل البديع المعروف بالرأْي الجوهري اي ان عناصر الاجسام مؤَلفة من جواهر تتحد بعضها مع بعض على نسب محدودة فتتكون منها المركبات الكيماوية . وهذا الرأْي او التعليل افاد علم الكيمياء فائدة لا تقدر وصارت بهِ الكيمياء علماً معقولاً

ومن الذين افادوا علم الكيمياء ووضعوا اساسهُ شيل الاسوجي ولعلهُ اكبر العلماء المكتشفين . نشأَ في اواخر القرن الثامن عشر وكان فقيرًا سقيمًا واضطرَّ ان يتعاطى بيع الادوية ليكتسب منها ما يسد رمقهُ . ومن مكتشفاتهِ العظيمة عنصر الاكسجين وهو اهم العناصر الطبيعية كلها وقد كان اكتشافهُ اكبر مرغب في المباحث الكيماوية واكتشف ايضًا عنصر الكلور الذي يستعمل في قصر المنسوجات واكتشافهُ مما زاد رغبة العلماء في هذا العلم . ولد

اكتشف هذين العنصرين وليس لديهِ الاَّ ما يوجد في احقر الصيدليات او دكان من دكاكين الادوية من الخناجر والانابيب

ومن مكتشفاتهِ الكيماوية الكثيرة الحامض الهيدرفلوريك والطرطيك والبنزويك والزرنيخوس واللبنيك والشتريك والمليك والاكساليك والعفصيك واكتشف الباريتا وغاز الهيدروجين المكبرت وصنع املاح المغنيسيا وزرنيخيت النحاس واثبت ان الهواء مؤلف من عنصر يعين على الاشتعال وهو الاكسجين وعنصر يمنع الاشتعال وهو النيتروجين وكان شغلهُ في التحليل والتركيب معاً على غاية الدقة والاحكام مع قلة وسائطهِ كما تقدم

ومن الكيماويين الذين اكتشفوا اكتشافات كثيرة في علم الكيمياء على قلة وسائطهم برزليوس وهو اسوجي ايضاً. وقد وصف وهلر الكيماوي الالماني معملهُ الذي كان يشتغل فيهِ قال وقفت امام بيت برزليوس وقرعت الجرس وقلبي يخفق ففتح لي رجل سمين وهو برزليوس نفسهُ وسار بي الى معملهِ وانا لا اصدق اني وصلت الى حرم العلم الذي كانت نفسي تتوق اليهِ. وكان المعمل غرفتين ساذجتين لا غاز فيهما ولا حنفية ماء ولا اتون وكل ما فيهما مائدتان من الخشب الابيض احداهما لبرزليوس والاخرى معدة لي وكان هناك بعض المواد الكيماوية وحوض من الزيبق وقنديل واناء كبير من الخزف لصب الماء وغسل الآنية وتحتهُ نصف برميل من الخشب يصب الماء الوسخ فيهِ والمطبخ ملاصق للغرفة وفيهِ حمام رملي

هذا هو المعمل الذي اشتغل فيهِ برزليوس واكتشف اكتشافاتهِ الكثيرة ووضع العلامات الكيماوية واكتشف كثيراً من العناصر حتى عدَّ من اكبر واضعي علم الكيمياء الحديث

وليبغ الذي صار اكبر كيماوي في الدنيا كانت وسائطهُ قليلة مثل وسائط برزليوس ولما جعل استاذاً لعلم الكيمياء في مدرسة جيسن لم يكن في المانيا كلها معمل كيماوي فاستعمل مكان علف المواشي معملاً وصنع الآلات والادوات اللازمة لذلك وكانت من ابسط ما صنع وجعل يعلم الكيمياء بالعمل واكتشف اكثر مكتشفاتهِ الكيماوية وهو هناك ولما ذاع صيتهُ وعرف فضلهُ ونقل الى مدرسة مونخ الجامعة وتيسر لهُ انشاء معمل كيماوي كبير كثير الآلات والادوات لم تعد اشغالهُ كثيرة ولا مكتشفاتهُ مهمة

ذكر لورد ريلي انهُ زار هيوز مخترع الميكروفون فلم يجد عندهُ من الآلات والادوات التي استعان بها على اختراعهِ سوى بعض علب من العلب التي توضع فيها خيطان الكبريت وقضب او قضيبين من شمع الختم وبعض المسامير وبطرية صغيرة صنعها من كاس عادية من كؤوس الشرب

وقال الاستاذ رمسن ان الاستاذ رولند الاميركي كان يعمل التجارب الطبيعية والكيماوية في المطبخ ويستخدم كل ما تجده يده من الادوات والآنية . واكثر هؤلاء العلماء لم يكونوا يعرفون ما تأول اليهِ مكتشفاتهم فلم يخطر على بال دلتن وهو يجري التجارب في الغازات والسائلات انهُ وضع اساس علم الكيماء ولا على بال شيل ان تجاربهُ تؤدي الى اكتشاف الاكسجين والكلور وما ينتج عن اكتشافهما علماً وعملاً

وما كان ميسوراً لعلماء اوربا منذ مئة سنة لا يزال ميسوراً لهم ولغيرهم الآن ولكن المكتشفات التي يتيسَّر اكتشافها بهذه الوسائل الحقيرة قد كشفت كلها ولم يبقَ منها خفياً الا ما لم ينتبه لهُ احد. فاذا أُريد الآن اكتشاف شيء لم يكشف قبلاً فلا بدَّ من الالتجاء الى وسائل التحليل والتركيب التي يتعذر وجودها في غير المعامل الكيماوية والطبيعية الكبيرة. ومَن يقرأ وصف الاعمال التي عملتها مدام كوري وزوجها حتى اكتشفا عنصر الراديوم يجد انهما تعبا على استخلاص هذا العنصر اكثر مما تعب دلتن وشيل على اكتشاف اكثر مكتشفاتهما. ومن يقرأ عن الاعمال التي عملها مواسان لاجل اكتشاف وسيلة لعمل الماس يجد انهُ تعب في هذا السبيل اكثر مما تعب برزليوس في اكتشاف مكتشفاتهِ كلها وما ذلك الا لان القدماء اكتشفوا ما كان اكتشافهُ ميسوراً ولو كان من الحقائق الاساسية الكبيرة وهذا لا ينفي ان يكون في حيز الخفاء حقائق اخرى جوهرية واكتشافها ميسور وهي مغطاة بقشة كما يقول العامة وتنتظر من يرفع القشة عنها ويظهرها للعيان وقد يكون الرافع لهذه القشة من غير العلماء المتبحرين لكن ذلك نادر لا يبنى عليهِ حكم والغالب ان اكتشاف الحقائق الجديدة يكون بالبحث عنها والاستعداد لها حتى يكون الباحث يقظاً لينتبه الى كل ما يراهُ ولو عثر عليهِ عثوراً

ولم يقفل الباب في وجه طالب علم وباحث عن حقيقة فان اليابانيين على حداثة عهدهم قد اكتشفوا من المكتشفات الكيماوية والباثولوجية والبكتيريولوجية ما يحق لهم ان يفاخروا بهِ. وقس على ذلك الايطاليين والروسيين فلم تنحصر المكتشفات العلمية بالانكليز والفرنسويين والالمانيين والاسوجيين بل بابها مفتوح لكل الباحثين المدققين الذين يطلبون العلم لذاتهِ ويغوصون وراء دررهِ. ولعلنا نحن ابناء الممالك العثمانية من اضعف الناس همة واقلهم اهتماماً بالبحث العلمي فقد اشاع المعمل الكيماوي الخديوي منذ سنوات كثيرة انهُ اكتشف عنصراً جديداً اطلق اليهِ اسم المصريوم وحتى الآن لم يعلم خواصهُ ولا حقق وجودهُ

ولا خير في العيدان الا صلابها ولا ناهضات الطير الا صقورها

مناجاة الارواح

نبهتنا اسئلة سُئلناها في الشهر الماضي الى مقالة للاستاذ نيوكم الفلكي الاميركي الذائع الصيت نشرت في جزء يناير من مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية يظهر منها ان بحثهُ اوصلهُ الى ما اوصلنا اليهِ البحث في ما يقال عن مناجاة الارواح وصدق الاحلام وما اشبه. ثم ردَّ عليهِ السر اوليفرلدج العالم الطبيعي في جزء فبراير من تلك المجلة فرأَينا ان نلخص المقالة الاولى والثانية لان الموضوع من اهم مواضيع البحث في هذه الايام

قال الاستاذ نيوكم ما خلاصتهُ: — اذا ادَّعى كبار العلماء انهم اكتشفوا اكتشافاً مهمًّا فالغالب ان الناس يصغون اليهم بالوقار ويقبلون قولهم بالاجلال ما لم تقم عندهم ادلة قوية على نقضهِ او على الشبهة فيهِ وقد شذَّت عن هذه القاعدة دعويان لهما شأن كبير فيحقُّ ان نوجه اليهما نظرنا وهما دعوى تفاعل العقول بعضها ببعض ودعوى فعل المادة بالعقل والعقل بالمادة وما كان من هذا القبيل فانهما قديمتان جدًّا سابقتان لعصر التاريخ والناس ميالون الى تصديقهما ومع ذلك نرى جمهور العلماء ينكرونهما ويعدونهما من قبيل الخرافات القديمة التي اهملها العلماء بعد ارتقاء العقل فقد اهملوا السحر واهملوا معهُ كل ما يقال عن فعل العقول بعضها ببعض بغير واسطة الحواس الظاهرة. ولكن قام الآن اناس من كبار العلماء وقالوا ان اسلافنا لم يخطئوا في ما كانوا يعتقدونهُ من هذا القبيل وان ما نحسبهُ من قبيل الخرافات لهُ اصل حقيقي لا شبهة فيهِ. ومن هؤُلاء ثلاثة لهم القدح المعلَّى بين العلماء وهم السر اوليفر لدج والاستاذ برت والسر وليم كروكس. وقد قالوا ان العقول تتفاعل عن بُعد وان نفوس الموتى محيطة بنا وهي تقرع ابوابنا. فاذا كان ذلك من الحقائق المقررة فهو من اهم الامور لانهُ يخرج اعتقادنا ببقاء النفوس من حيز الايمان بما لا يدرك بالحواس الى حيز العلم بما يدرك بها ويجعلهُ من الحقائق العلمية ويفتح لنا مجالاً واسعاً لتربية عقولنا على ادراك ما في عقول غيرنا فنصير نتحادث مهما كانت المسافات شاسعة بيننا ويقرأُ بعضنا افكار البعض الآخر كما نقرأُ صحف الاخبار. واذا كان الامر كذلك وجب على من ينكرهُ ان يبين الاسباب التي تحملهُ على الانكار والاَّ فسكوتهُ دليل على احتقارهِ لشأن الموضوع

واذ التفتنا الى جمهور الناس رأَينا منهم فريقاً صغيراً جدًّا يؤَيد ما تقدم من تفاعل العقول ومناجاة الارواح وفريقاً كبيراً ينكر ما تقدم او يقول انهُ خالٍ من كل دليل. وفريقاً ثالثاً بَيْنَ بين يصدق الاخبار التي تروى عن تفاعل العقول ومناجاة الارواح ولكنهُ يقول

ان العلم لم يجد لها حلاً حتى الآن وهذا الفريق كبير ايضاً واعضاؤُهُ من اهل العلم

قال الاستاذ نيوكم انهُ لما كان ولدًا كان يحاول جعل امهِ تفتكر بهِ بمجرد افتكارهِ بها فلم يفلح . ثم لما شاعت اعمال المدَّعين مناجاة الارواح منذ خمسين سنة بقرع الابواب والموائد امتحن بعضها فرأى فيها من السخافات ما جعلهُ يهزأ بها و يستخف بهذا الموضوع كلهِ

وسنة ١٨٥٨ احتدمت نار الجدال في جريدة من جرائد اميركا في امر مناجاة الارواح والوسطاء وانتهى الجدال بان واحدًا عرض مبلغاً طائلاً من المال جائزة للوسيط الذي يحرّك مائدة من غير ان يلمسها او يقرأ ورقة من غير ان يراها او يقرع قرعة لا يُعرَف سببها. واشترط ان يكون ذلك امام لجنة يعينها هو . فقبل رئيس المعتقدين بمناجاة الارواح طلبهُ واتى باشهر الوسطاء من اماكن مختلفة . والّفت اللجنة من ثلاثة وهم الاستاذ لويس اغاسز واستاذان آخران من اساتذة مدرسة كمبردج الاميركية وجرى الامتحان في نزل بوستن فلم يفلح الوسطاء في شيء واستصغر اولئك الاساتذة انفسهم لما رأوا انهم جلسوا ساعة بعد ساعة ولم يروا شيئاً يستحق الذكر . ولم يعمل الوسطاء الاَّ بعض ما يعملهُ المشعوذون عادةً وكان عذرهم عن فشلهم ان الارواح لا تظهر امام اناس لا يؤْمنون بها . ومن ثم لم يعد الاستاذ نيوكم يعبأُ بما يسمع عن مناجاة الارواح بل كان يقول للذين يكلمونهُ في هذا الموضوع ايتوني بوسيط تعتقدون صدقهُ ودعوني امتحِنهُ على انفراد واخيرًا وجد الوسيط المطلوب وهو فتاة اسمها لولو هرست عملت اعمالها المدهشة امام جماعة كبيرة وهو بينهم لكنها لم تدَّعِ انها فعلت شيئاً خارق العادة بل اظهرت كيف فعلت كل ما فعلتهُ . واتضح حينئذٍ ان كل ما سمعهُ الاستاذ نيوكم عنها قبلاً كان من قبيل المبالغة والوهم . وكان هناك جمهور من مخبري الجرائد فصدرت جرائدهم وفيها اغرب الاخبار كأَنَّ الفتاة فعلت اعجب ما يدعيهِ مناجو الارواح

ثم انشئت جمعية اميركية للبحث في المسائل النفسيَّة على نسق الجمعية الانكليزية المنشأَة لهذا الغرض وجُعل الاستاذ نيوكم رئيساً لها فبحث ودقَّق وحقق فلم يجد ما يخرج عن حد المألوف او عن حد الافعال الطبيعيَّة المعروفة

ومن غريب الاتفاق ان الخطة التي جرى عليها الاستاذ نيوكم جرينا عليها نحن ففي حدود الرابعة والسبعين اشتهر امر التنويم المغنطيسي ومناجاة الارواح في مدينة بيروت وكان هناك امرأة ايطالية تدَّعي انها تكتشف الخفايا وتقرأُ الافكار و بلغنا عنها امور كثيرة خارقة العادة واخيرًا دُعينا لمشاهدتها مع جماعة من الادباء وقيل لنا انها هي طلبت ذلك لتقنعنا فرأيناها ولم نرَ غير مخافات يستطيعها كل محتال . ثم اشتهر كمبرلند بقراءة الافكار

واستعظم الناس امرهُ ولاسيما بعد ان جاء القطر المصري ورأى الخديوي السابق ورسم صورة كان الخديوي يفكّر فيها . ففسّرنا فعلهُ في المقتطف قبل ان رأيناهُ ثم عرض اعمالهُ امام جمهور كبير في نزل شبرد فلم نرَ فيها غير ما فسّرناهُ سابقاً وفسّر هو اعمالهُ كما فسّرناها نحن على مسمع ذلك الجمهور ومع ذلك سمعنا كثيرين منهم يتحدثون باعمالهِ بعدئذٍ وينسبونها الى قوة روحية تفوق الطبيعة ولا يزالون على اعتقادهم هذا الى اليوم

وبعد ان مهّد الاستاذ نيوكم التمهيد السابق طرق الموضوع من جهة اخرى فاشار الى نوعين من البحث بحث فيهما السر وليم كروكس احدهما اكتشافهُ الاشعة التي تصدر من القطب السلبي في الانابيب المنسوبة اليهِ وهي التي شرحناها في بعض المجلدات السابقة حالما اكتشفها واكتشف ايضاً حركة في بعض المواد لم يعلم لها سبباً . ومرّت السنون من غير ان نظهر اهميّة هذين الاكتشافين . وسنة ١٨٩٥ اكتشف الاستاذ رنتجن ان بعض الاشعة الصادرة من انابيب كروكس تخترق الاجسام غير الشفافة وتؤثر في الواح التصوير الشمسي وفي نحو ذلك الوقت اكتشف بكرل ان اشعة مثل هذه تصدر من الاورانيوم وللحال تناول العلماء هذين الاكتشافين واشتغلوا بهما في كل مكان ووسعوا نطاق البحث فاكتشفوا الراديوم وفعل الاشعاع وكادت المكتشفات الحديثة في هذا الباب تقلب نظام العلوم الطبيعية رأساً على عقب

هذا من قبيل اكتشاف كروكس الاول والآن ننظر الى ما تم في اكتشافهِ الثاني :—
انشئت جمعية المباحث النفسية قبلما قام رنتجن بعشر سنوات وغرضها البحث عن القوى الخفيّة وتأثير العقول بعضها ببعض من غير توسط المادة واكتُشف حينئذٍ اكتشاف قدّر لهُ قلب العلوم العقلية كلها لا سيما وان امتحانهُ بسيط جدًّا فانهم اجلسوا شخصاً على كرسي واغمضوا عينيهِ ووضعوا في يدهِ قلماً وورقة ووقف واحد وراءهُ وبيدهِ اشكال هندسية ينظر اليها ويمعن نظرهُ فيها وكلما نظر الى واحد منها صوّر الرجل المغمض العينين صورتهُ بيدهِ . وظاهر الامر ان عقل الرجل الذي كان ينظر الى الشكل الهندسي اثر في عقل الرجل المغمض العينين فارشد يدهُ الى رسم شكل مشابه لهُ . وأُبدلت الاشكال الهندسية بصور اخرى فصوّرها الرجل المغمض العينين وظهر من ذلك ان عقل الواحد يؤثر في عقل الآخر من غير وسائط التأثير العادية كالكلام واللمس

ولا يخفى ان هذا العمل بسيط لذاتهِ يسهل اجراؤهُ في كل مكان وفي كل بيت لانهُ لا يقتضي الا ورقة وقلماً من الرصاص لا مثل امتحان انابيب كروكس وما تقتضيهِ من

الآلات الكهربائية الكبيرة الثمينة . فكان المنتظر ان اكتشاف طريقة انتقال الافكار او تأثير العقول بعضها في بعض يذيع ويشيع في كل الدنيا اكثر مما يذيع استعمال اشعة رنتجن بالف مرة وقد مضى الآن خمس وعشرون سنة على هذا الاكتشاف ولكن ما هي نتائجهُ العلمية . لا شيء . وما ذلك الا لان ما قيل عن انتقال الافكار لم يثبت ثبوتاً علمياً ولا دلَّ على ناموس طبيعي يمكن اتباعهُ والجري عليهِ وان اشعة رنتجن وفعلها حقيقة علمية لان كل احد يستطيع ان يولّدها ويستعملها اذا استخدم الآلات اللازمة لتوليدها واستعمالها

اما انتقال الافكار فاذا ظهرت الطرق التي يتم فيها حتى اذا جربها ايٌّ كان نجح كما نجح غيرهُ اي نقل افكارهُ كما ينقل الذين يدَّعون نقل الافكار افكارَهم صار انتقال الافكار حقيقة علمية . وقد حاولت جمعية المباحث النفسية معرفة الاحوال التي تنتقل فيها الافكار بالامتحان فوجدت ان الافكار تنتقل تارة ولا تنتقل تارةً اخرى ولم اجد في ما نشرتهُ في السنوات العشر الاخيرة انها تقدَّمت اقل خطوة في هذا الموضوع والظاهر ان النجاح في نقل الافكار يكون على اقلهِ اذا كان التدقيق في تجنُّب الخطإ على اكثرهِ دلالة على ان الخطأَ سداهُ ولحمتهُ . وقد كثر الاهتمام بموضوع آخر وهو "التلبثي" اي الشعور عن بُعد او نقل الافكار الى الاماكن البعيدة ولكن ان كانت الافكار تجد صعوبة في الانتقال من انسان الى آخر والبعد بينهما بضع اقدام فكيف تنتقل من مدينة الى اخرى البعد بينهما شاسع جدًّا . وقد رووا حوادث كثيرة من هذا القبيل نشرت في الكتاب المعنون بتخيُّلات الاحياء وهي على هذا النسق :— يهجس انسان او يحلم ان صديقاً او نسيباً اصيب بمكروه ويؤثر ذلك في ذهنهِ تأثيرًا شديدًا حتى يخاف من صدق ما هجس او حلم بهِ . وفي الصباح او حالما يصل البريد يأتيهِ كتاب وفيهِ خبر المكروه الذي اصاب صديقهُ او نسيبهُ في الساعة التي هجس او حلم فيها . وقد اجتهد جامعا ذلك الكتاب وهما الاستاذان غرني وميرس في جمع كل الادلة التي تثبت صحة ما ذكراهُ فيهِ من الاخبار فرأَيا ان كثيرًا منها يدل دلالة قاطعة على علاقة سببيَّة بين الحادثة وشعور من شعر بحدوثها . ولكن أَلا يمكن تعليل ذلك باسباب معلومة غير انتقال الافكار فاذا كان ذلك ممكناً فلا داعي لفرض انتقال الافكار لانهُ لا ينبغي فرض اسباب مجهولة حيث يمكننا تعليل المعلولات باسباب معلومة ولا سيما اذا كانت الاسباب المجهولة بعيدة عن المألوف او عن المحتمل كانتقال الافكار

اما الاسباب التي تدعو الناس الى الاعتقاد بانتقال الافكار فكثيرة اولها مزج الصدق بالكذب على اسلوب يجعل التمييز بينهما صعباً فيدعي الذين يثبتون انتقال الافكار حدوث

امور لم تحدث حقيقةً ولكنهم توهموا حدوثها توهماً لكثرة ما سمعوا عنها كأن يقولون لك ان فلاناً نوّم فلانة وهو بعيد عنها وهي لا تدري انهُ يقصد تنويمها في الوقت الذي نامت فيهِ والحقيقة انهُ لم ينومها الاَّ وهي عالمة انهُ يقصد تنويمها في الساعة التي نامت فيها

وثانياً حذف امور مهمة من الخبر لو ذكرت فيهِ لكشفت سببهُ وازالت غرابتهُ . وقد تفحصت مرةً حادثة من هذا القبيل فقد قيل ان سفينة حربيَّة غرقت وغرق ربانها واكثر بحارتها وقبلما سافرت سفرتها الاخيرة هجس احد رجالها انها ستغرق وطلب ان يعفى من البقاء فيها فلم يُجَب طلبهُ فعصي امر روٴسائهِ وترك السفينة فحوكم في مجلس عسكري كهارب من الخدمة ثم كان من غرقها ما كان . وقد ثبت لي لدى البحث ان القصة صحيحة بنوع عام ولكن ينقصها امر يزيل كل غرابتها وهو ان ذلك الرجل كان كثير الهواجس وقد هجس مراراً كثيرة ان السفينة ستغرق ولم تغرق ولا سافرت سفرتها التي غرقت فيها الاَّ بعد ما خرج منها ببضعة اشهر وقد سافرت سفرات كثيرة بعد ما خرج منها وقبلما سافرت سفرتها الاخيرة التي غرقت فيها . فلما علمت واقعة الحال زالت الغرابة كلها

اذا حدثت حادثة لشخص ما وتأثر شخص آخر بعيد عنهُ وقت حدوثها لا يجوز ان يقال ان التأثير ناتج عنها الاَّ اذا كانت هي حقيقية وكان التأثير غير عادي . وفي اثبات ذلك كلهِ مجال واسع للخطإِ فاننا كلنا معرَّضون للخطإِ في ما نتذكرهُ ولاسيما اذا اردنا ان نعين الوقت الحقيقي الذي حدثت فيهِ الحادثة وحدث فيهِ التأثير . وما اقل الذين يستطيعون ان يتذكروا ما حدث لهم امس او اول امس ساعة بعد ساعة من غير خطإٍ بزيادة او نقصان او ادخال امور حدثت في ايام سابقة . والظاهر ان الذين يكتبون عن انتقال الافكار لا يحسبون حساب ما يقع في ذلك من الخطإِ . والغالب ان الخطأ يمازج الصواب و يبقى كذلك ولا سبيل الى اصلاحهِ . وما ادرانا ان ليس كل الاتفاقات الغريبة هي من قبيل الخطإِ ولا يعلم الخطأُ من الصواب الاَّ اذا وجد دليل قاطع على حدوث الحادثة كما وقعت تماماً و يجب ان يكون مكتتباً ومؤرخاً بحيث تنفى كل شبهة وهذا قلما يوجد او لا يوجد مطلقاً

ولا انذكر الاَّ حادثة واحدة استُشهد فيها بشهادة شخص خارج عن المشتركين فيها فقد ذكر غرني وميرس سنة ١٨٨٤ حادثة جرت للسر ادمند هرنبي قاضي مجلس القضاء القنصلي في شنغاي مفادها ان مخبرًا من مخبري الجرائد زارهُ ليلاً وطلب منهُ صورة حكم كان عازماً ان يصدرهُ في اليوم التالي فقام من سريرهِ واملى على المخبر ما كان عازماً ان يقولهُ في الصباح وصرفهُ بعد ان و بخهُ لانهُ اقلقهُ . ولما قام في الصباح ونزل الى المحكمة بلغهُ

ان المخبر المشار اليهِ مات بغتةً في الليلة الماضية ولما بحث عن الساعة التي مات فيها وجد انها تنطبق على الساعة التي تخيل فيها ان المخبر ايقظهُ فقام واملى عليهِ صورة الحكم . وقال غرني وميرس ان زوجة القاضي وافقت على صحة ما قالهُ زوجها

ولما وصل ما نشراهُ الى شنغاي رآهُ بعض العارفين بواقعة الحال فاثبتوا ان بين وفاة المخبر والحلم الذي حلم بهِ ذلك القاضي شهورًا كثيرة وأُخبر القاضي بذلك فأعترف انهُ كان يعتقد صحة ما رواهُ لما رواهُ . وواضح من ذلك ان الحادثة الوحيدة التي تدل دلالة قاطعة بشهادة شاهد على صحة انتقال الافكار وجدت لدى البحث مبنية على الوهم

ولا بد من احصاء الحوادث التي تُصدق والتي لا تصدق حتى يعلم هل صدق التي صدقت مبني على سبب او هو من قبيل الاتفاق فاذا وضعنا مليون حبة من حبوب الحنطة البيضاء في كيس ووضعنا معها حبة واحدة سوداء واغمضنا عيني ولد وجعلناهُ يمد يدهُ الى ذلك الكيس ويستخرج منهُ حبة واحدة فالاحتمال انهُ يستخرج الحبة السوداء قليل جدًّا جدًّا فاذا مد يدهُ واستخرجها اول مرة استغربنا ذلك ثم اذا اعيدت الى الكيس ومدَّ يدهُ ثانية فاستخرجها ايضاً حكمنا ان الامر خارق العادة فاما انهُ استعمل حيلة ما او توجد جاذبية خصوصية بين يدهِ وحبَّة الحنطة . ولكن اذا استدعينا ثلاثين مليون نفس وطلبنا من كل واحد منهم ان يمد يدهُ الى الكيس ويستخرج منهُ حبة ثم يردها اليهِ حق لنا ان ننتظر ان اولئك الثلاثين مليونًا يستخرجون الحبة السوداء نحو ثلاثين مرة واذا استخرجوها عشر مرات فقط حكمنا انهُ يوجد سبب يبعد اياديهم عنها او انهُ وقع غلط في عدد المرات . فالمسأَلة اذًا متوقفة على احصاء المرات التي نُصيب فيها الحوادث والمرات التي تخطئ فيها فاذا أُحصيت الحوادث التي وقعت فيها الاصابة واهملت الحوادث التي وقع فيها الخطأُ فالحكم المبني على الحوادث المصيبة غير صحيح

وقد ظهر من استقراء جمعيَّة المباحث النفسيَّة ان عشر الناس معرَّض للخيالات والتخيلات والهواجس والاحلام وعليهِ فالذين يتخيلون ويهجسون من بين الناس كلهم يعدون بالملايين الكثيرة فاذا تخيلوا موت اقربائهم وانسبائهم ولم يمت منهم حينئذٍ الَّا شخص واحد من كل مليون فعدد الذين يموتون حينما يتخيلونهم يجب ان يكون كثيرًا . ومعلوم اننا نتذكر ما يصدق من احلامنا وهواجسنا وننسى ما لا يصدق فلا نناسب بين ما يصدق وما لا يصدق . وزد على ذلك اننا اذا حلمنا حلمًا ثم حدث ما حلمنا بهِ نعلقهُ بالحلم وزمانهِ ولو حدث بعدهُ ونوفقهُ عليهِ ولو كان مخالفًا لهُ من وجوه كثيرة على غير قصد منا

لما نشرت مقالة الاستاذ نيوكم وتعقبها المستر ستد في مجلة المجلات الانكليزية وعنون

ما كتبهُ عنها بكلام مأثور عندهم وهو " لا اشد عمىً من الذين لا يريدون ان يبصروا " وذكر حادثة جرت له يُعتقد انها حجة قاطعة على انتقال الافكار قال ان سيدة من صديقاته تكتب بيده اي تحرك يدهُ حينما تريد مهما كانت بعيدة عنهُ فتكتب ما تملي عليها باسهل مما تكتب هي بيدها . وكانت هذه السيدة قد مضت الى هسلمير مكان يبعد عن لندن نحو اربعين ميلاً واراد المستر ستد ان يعرف هل هي باقية هناك فاخذ القلم بيده ووضعهُ على القرطاس وسألها في ذهنهِ هل رجعت الى لندن فكتبت يدهُ ما ترجمتهُ

" يسوءُني ان اخبرك انهُ اصابني ما غاظني جداً واكاد اخجل من ذكره وهو اني خرجت من هسلمير بعد الظهر بساعتين و ٢٧ دقيقة وكان معي في مركبة سكة الحديد امرأتان ورجل فلما وصل القطار الى غودلمن نزلت المرأتان وبقيتُ وحدي مع الرجل فلما سار بنا القطار قام من مكانهِ وجلس الى جانبي فخفت وابعدتهُ عني فحاول ان يبوسني فقبضت على مظلتهِ وضربتهُ بها فانكسرت وخفت ان يتغلّب عليَّ ولكن القطار خفف سيرهُ حينئذٍ لانهُ دنا من محطة غلدفورد فخاف الرجل وتركني ونزل قبلما وصل القطار الى الرصيف وركض هارباً وترك المظلة معي "

قال المستر ستد وارسلت كاتبي اليها وارسلت معهُ كتاباً اقول فيهِ ان ما جرى لها كدرني وطلبت منها ان تحضر مظلة الرجل معها حينما تأتي اليَّ . فكتبت اليَّ الجواب تقول لقد ساءني اطلاعك على ما جرى لاني كنت عازمة ان لا اخبر احداً وسآخذ المظلة معي ولكنها مظلتي لا مظلتهُ

وبمثل هذه القصة يريد المستر ستد ان يثبت ان عقل هذه المرأة يحرك يدهُ من غير ان تشعر هي بما يفعلهُ عقلها . ولماذا لا يفسر ذلك بان الرجل كتب الحادثة كما وقعت في احدى الجرائد ولم يذكر اسمهُ واكتفى بوصف المرأة عن ذكر اسمها (والجرائد الانكليزية تذكر كل ما كان من هذا القبيل) ووقع نظر المستر ستد على الكتابة وهو مشغول بموضوع آخر فنسي انهُ قرأها وتوهم انهُ كتبها بيدهِ وهذا مما يقع لكل احد وهو اقرب الى العقل من ان عقل تلك المرأة يؤثر في يد رجل بعيد عنها اميالاً كثيرة ويفشي له ما لا تريد افشاءهُ وهي غير شاعرة بشيء من ذلك . ولا ندري كيف يسهل على بعض الناس ان يبلعوا جبلاً لكي يتخلصوا من بلع فولة

اما مقالة السر اوليفر لدج فسنأتي على خلاصتها في الجزء التالي

غش البضائع

اشرنا غير مرة الى سخافة البضائع التي يجلبها تجارنا من اوربا و يتاجرون بها في الاقطار الشرقية ولاسيما ما كان منها من نوع المنسوجات . فان المنسوجات الوطنية التي تنسج من غزل وطني تفني الزمان ولا تفنى . وحتى الآن نجد في المدافن المصرية القديمة منسوجات نسجت منذ ثلاثة آلاف سنة او اربعة آلاف سنة او اكثر وهي لم تبلَ بل لا تزال امتن من المنسوجات التي يتاجر بها تجارنا اليوم . والذين يحفظون في بيوتهم اكسية قديمة مما كانت تلبسهُ جداتهم من نسج القطر المصري او الشامي او الحلبي او البغدادي اذا قابلوا بينها وبين المنسوجات التي ترد الآن من اوربا او المنسوجات البلدية المنسوجة من غزل اوربي وجدوا بين الاثنين فرقاً كبيرًا في المتانة وثبوت الالوان . واسباب ذلك معلومة وهي ان المنسوجات الاوربيَّة تقصر وتصبغ بمواد كيماوية تعرضها للبلى الباكر حتى ان بعضها يبلى من نفسهِ ولو لم يلبس او هي محوكة من ادنى انواع القطن والكتان والصوف والحرير وما اشبه . وقس على ذلك اكثر المصنوعات الاوربية التي يتاجر بها في الاقطار الشرقية كالاقفال والسكاكين والامتعة البيتية فانها تصنع من مواد سخيفة ولا يعتنى بعملها حتى تكون متينة

وقد كنا نظن ان هذا الحكم يُطلَق على البضائع الاوربيَّة التي تستعمل في اوربا نفسها كما يطلق على البضائع التي يجلبها تجارنا منها لكننا رأينا بالاختبار ان الامر على غير ذلك فاتفق لنا في سفراتنا الى اوربا اننا اشترينا بعض البضائع منها من الثياب والاحذية ونحوها فوجدنا ان منسوجات فرنسا وانكلترا الحريرية لا تبلى ولو كانت مصبوغة بالصباغ الاسود الذي يبلي الحرير عادةً . وعندنا منها الآن ثياب مضى عليها خمس عشرة سنة ولا تزال على جدتها وهذا شان منسوجات انكلترا وسويسرا الصوفية والكتانية التي اشتريناها منهما فاننا وجدناها تقيم بضع سنوات ولا تبلى ولا يظهر عليها انها عتقت كثيرًا مع ان ما كان شبيهاً بها من المنسوجات التي نشتريها من القاهرة لا يقيم سنة

وقس على ذلك الاجربة والاحذية وما اشبه من المصنوعات الجلدية والمعدنية فان ما يصنع منها في اوربا لاهالي اوربا يكون امتن واجود مما يتجر بهِ في هذه البلاد كأنَّ التجار يوصون على البضاعة السوقية السخيفة عن قصد لكي تتلف سريعاً او لا يشترون الا بالاسعار الرخيصة فيضطر اصحاب المعامل ان يصنعوا لهم بضاعة سخيفة توافق الثمن الذي يشترون بهِ وقد اشترى القطر المصري في العام الماضي من المنسوجات القطنيَّة والكتانية والصوفية

والثياب والبسط ونحوها ما ثمنهُ ستة ملايين ونصف من الجنيهات وفي العام الذي قبلهُ ما ثمنهُ سبعة ملايين من الجنيهات هذا عدا المصنوعات الخشبية والجلدية والمعدنية والاشربة الروحية وثمنها خمسة ملايين من الجنيهات . أضف الى ذلك ان اكثر دقيق الحنطة الذي يرد الى القطر مغشوش بدقيق البطاطس ان لم يكن مغشوشاً بغيره . فهذه اثنا عشر مليوناً من الجنيهات يدفعها القطر المصري سنوياً ثمن بضاعة اكثرها مغشوش لا يستعملها اهالي اوربا انفسهم بل تصنع للامم المنحطة التي تطلب الرخيص المزوق مهما كان نوعهُ واطئاً . ولا نبالغ اذا قلنا ان خسارة القطر السنوية من ابتياع هذه البضائع لا تقل عن خمسة ملايين او ستة ملايين من الجنيهات . وعلاج هذا الداء عسير ولكنهُ ليس من المستحيلات وهو يقوم بامور كثيرة

اولها تشجيع الصناعة الوطنيَّة بكل واسطة ممكنة . ولا نعني بالصناعة الوطنية الاقتصار على خياطة الثياب من المنسوجات الاوربية وعلى عمل الاحذية من الجلود الاوربية ونسج المنسوجات من المغزولات الاوربية بل استعمال المواد الاصليَّة الوطنية او التي يمكن جلبها من البلدان المجاورة وهي في حالتها الاصلية قبلما يدخلها الغش فالقطن موجود في البلاد وكذلك الصوف والكتان . والحرير يمكن جلبهُ صحيحاً نقيًّا من بلاد الشام فاذا نسجت المنسوجات من هذه المواد الاصلية قبلما يدخلها الغش فالثوب الذي يبلى في نصف سنة اذا كان من نسيج اوربي مما يجلبهُ التجار عادة لا يبلى في خمس سنوات اذا كان من نسيج وطني خالٍ من الغش . والجلود موجودة في هذه البلاد وفي بلاد السودان والحبشة وترسل منها الى اوربا فاذا دبغت هنا وصنعت منها الاحذية صنعاً متقناً لم تبلَ سريعاً كالاحذية التي تصنع من جلود اكثرها صناعي او مصبوغ بصبغ يبليها

وليس عندنا معادن لتصنع الادوات المعدنية منها ولا سبيل للغش في المعادن الاصلية ولكن الغش الكثير يقع في ما يصنع منها فان المصنوعات السخيفة او التي لا تكون اجزاؤُها على تمام الاحكام لا تقيم مثل المصنوعات المتينة المحكمة

اما تشجيع المصنوعات الوطنية فيكون باعفائها من الرسوم وبفرض استعمالها في كل المصالح والدوائر الاميريَّة فيكون منها ثياب الجنود ورجال البوليس ومستخدمي سكة الحديد والبوسطة وتفرش منها دواوين الحكومة واذا اريد استعمال المصنوعات في دوائر الحكومة كالموائد والكراسي والاقفال ووجد الوطني منها وجب تفضيلهُ على الاجنبي بشرط ان يكون متقناً مثل الاجنبي ومتيناً مثلهُ على الاقل

ومتى جرت الحكومة هذا المجرى في تنشيط المصنوعات الوطنية . اقتدت بها الدوائر

والمعامل الكبيرة التي تستخدم عدداً كبيرًا من العمال وزادت رغبة الناس فيها

ثانيها الاكثار من الكلام على هذا الموضوع واظهار الفرق الكبير بين المصنوعات الوطنيَّة والاجنبيَّة من حيث الجودة والفرق بين الجيد وغير الجيد من المصنوعات الاجنبيَّة حتى يصير جمهور الناس يميز الفرق بينهما ويشتري الجيد ويرفض ما سواهُ

وثالثها ترقية آداب التجار بالتعليم والتهذيب حتى لا يبيعوا الاَّ البضائع الجيدة الخالية من الغش سواء كانت وطنية او اجنبية حاسبين ذلك واجباً وطنياً تقتضيهِ الذمة منهم. فان آداب بعض التجار قد انحطت الى درجة تفوق الوصف فتراهم يبيعون القطن حريرًا والنحاس ذهباً وزيت القطن زيت زيتون والزبدة الصناعية زبدة طبيعية ولا يصعب عليهم ان يمزجوا الصابون بنصفهِ ترابًا واللبن بنصفهِ ماء

وما قلناهُ عن الديار المصرية يقال عن سائر ولايات السلطنة العثمانية فان قيمة الواردات اليها في السنة من المغزولات والمنسوجات الاوربية نحو عشرة ملايين من الجنيهات واذا كان الغش جاريًا في كل جماركها كما كان في جمرك بيروت فلا تقل قيمة هذه البضائع عن خمسة عشر مليونًا من الجنيهات وقيمة الواردات من سائر المصنوعات قد لا تقل عن ذلك فكم تقتصد البلاد العثمانية اذا نشطت صناعتها الوطنية واعتمدت عليها لا سيما وان فيها جميع المواد الاصلية كالحرير والصوف والقطن والجلد والمعادن على انواعها والفحم الحجري والبترول والاسفلت وما اشبه ولماذا تجلب من البلاد الانكليزية كل سنة ما ثمنهُ احد عشر مليونًا من الجنيهات ولا ترسل اليها الاَّ ما ثمنهُ نحو ستة ملايين من الجنيهات وتجلب من بلاد النمسا ما ثمنهُ ستة ملايين ونصف مليون من الجنيهات ولا ترسل اليها الا ما ثمنهُ مليونان من الجنيهات وتجلب من روسيا ما ثمنهُ مليونان من الجنيهات ولا ترسل اليها الا ما ثمنهُ نصف مليون وتجلب من ايطاليا ما ثمنهُ مليونان ونصف مليون وترسل اليها ما ثمنهُ اقل من مليون. هذا امر يجب تدبُّرهُ ولا يحسن ان يوكل الاهتمام بهِ الى الحكومة لان لديها مشاغل كثيرة بل يجب على الامة ان تتدبرهُ وتسعى في اتقان الصناعة الوطنية وترويجها بكل جهدها

وخلاصة المقال ان البضائع التي يجلبها تجارنا من اوربا سخيفة ضعيفة مغشوشة لا كالبضائع التي تستعمل في اوربا نفسها وخسارة الممالك العثمانية بذلك كبيرة جداً تقدر بملايين كثيرة من الجنيهات ونقوم مداواة هذه الحال بتنشيط المصنوعات الوطنية وتعليم الناس التمييز بين الجيد وغير الجيد من المصنوعات والصحيح والمغشوش من البضائع. وترقية آداب التجار بالتعليم والتهذيب حتى لا يبيعوا الاَّ البضائع الجيدة الخالية من الغش وطنية كانت او اجنبية

الشعر الوصفي

بينما كنت اتصفح المجلد الثامن والعشرين من المقتطف قرأت في صفحة ٤٣٨ منهُ اقتراحهُ على "ابناء هذا العصر ان يحذوا حذو الثعالبي وابي تمام بجمع ما يستحق الجمع والحفظ من اشعار الذين نبغوا بعد زمانهما الى الآن ولو جاء ذلك في مجلدات. ويجب ان لا يقتصروا على ما اقتصرا عليهِ من الابواب بل ان يذكروا ايضاً ما يدخل في باب الوصف الطبيعي كوصف المدن والمباني والبلدان والرياض والحيوان والنبات والشمس والقمر والغيم والمطر ونحو ذلك ... الخ" وقد جمعت كتاباً سميتهُ (شحذ القريحة في القطعات البليغة الفصيحة) وقسمتهُ الى جزئين احدهما في الشعر والشاعر والفنون الشعرية على اسلوب جديد ومباحث دقيقة في المطالعة والحسن والخيال وتوليد المعاني الخ يقع في نحو ثلاثمائة صفحة بقطع كبير. وثانيهما في المقطعات والقصائد مبوبة على اسلوب جديد يوافق اقتراح المقتطف وينقسم الى وصف العوالم العلوية كالسماء واديمها والسيارات وتوابعها كالقمر سواءٌ كان بدراً او هلالاً والثوابت والشمس ثم الظواهر الجوية كالاقتران والكسوف والخسوف والنيازك والرجوم والمذنبات والفجر والشفق وقوس قزح والبرق والرعد والغيم والمطر والثلج والآل والسراب والظل والنسيم والهواء. ثم وصف العوالم السفلية كالانسان وما يتعلق بهِ والحيوانات على اختلافها والنباتات واشكالها ووصف الرياض والاثمار والازهار ثم وصف الجمادات كالابحار والانهار والغدران والفوارات والبرك والشلالات والخلجان ثم وصف العلوم والفنون والاكتشافات والاختراعات والمدن وما يتصل بذلك مما ملأ نحو الف ومائتي صفحة بقطع كبير. ولقد مثلتهُ بالطبع منذ سنوات ونشرت عنهُ مقالة سميتها (لمحة في الشعر والعصر) جعلتها كمقدمة او فذلكة لمواضيعهِ وطبعتها سنة ١٨٩٨ م ولكنَّ كساد بضاعة الادب يؤخرني عن طبعهِ ولاسيما انهُ يقتضي نفقات كثيرة لكبر حجمهِ ولقد رأيت الآن ان انتخب من بعض مواضيعهِ مثالاً يدل على ما تضمنهُ من الاساليب فاقتصرت على انتخاب فصل من القسم الثاني منهُ وهو في وصف الثالث من ذلك في وصف الرياض قول بعضهم:

روضٌ بهِ اشياءُ ليست في سواهُ تؤلفُ
فمن الهزار ترنمٌ ومن القضيب تقصُّفُ
ومن النسيم تلطفٌ ومن الغدير تعطفُ

وقول الآخر:

والروض قد راق العيون بحلةٍ قد حاكها بسحابهِ آذارُ
وعلى غصون الدوح خضر غلائلٍ والزهرُ في اكمامهِ ازرارُ

وقول ابن الأزرق:

تأملتُ من حسن الربيع نضارةً وقد غرَّدت فوق الغصون البلابلُ
حكت في غصون الدوح قسًّا فصاحةً لتعلم أنَّ النبت في الروض باقلُ

وقول احمد الحلبي الصنوبريّ:

خجل الوردُ حين لاحظهُ النرجسُ من حسنهِ وغار البهارُ
فعلت ذاك حمرةٌ وعلت ذا صفرةٌ واعترى البهار اصفرارُ
وغدا الاقحوان يضحك عجبًا عن ثنايا لثامهنَّ نضارُ
ثم نمَّ النمام واستمع السوسنُ لما اذيعت الاسرارُ
عندها ابرزُ الشقيقُ خدودًا صار فيها من لطمهِ آثارُ
سكبت فوقها دموعٌ من الطلِّ كما تسكب الدموع الغزارُ
فاكتسى البنفسج الغضُّ اثواب حدادٍ دخانها الاصطبارُ
واضرَّ السقام بالياسمين الغضِّ حتى آذى بهِ الإضرارُ

وقول ابي الفضل الميكالي:

روضٌ يروض هموم قلبي حسنهُ فيهِ لكأس اللهو ايُّ مساغِ
إن تنثني قضبانُ ريحانٍ بهِ حيَّت بمثل سلاسل الاصداغِ

وقول بعضهم:

في روضة ابدت ثغورُ زهورها لما بكى فيها الغمامُ تبسما
مدَّ الربيع على الخمائل نورَهُ فيها فاصبح كالخيام مخيما
تبدو الاقاحي مثل ثغرِ أشنبٍ أضحى المحبُّ بهِ كئيبًا مغرما
وعيونُ نرجسها كأعين غادةٍ ترنو فترمي باللواحظ اسهما
وكذلك المنثورُ منثورٌ بها لما رأى ورد الخدود منظَّما
والطير تصدح في فروع فنونها سحرًا فتوقظ بالهديل النوَّما

وقول الآخر: ورياض تختال منها غصونٌ في برودٍ من زهرها وعقودِ
فكأن الادواح فيها غوانٍ تتبارى زهوًا بحسن القدودِ

وكأن الاطيار فيها قيانٌ — تتغنى في كلّ عودٍ بعودِ
وكأن الازهار في حومة الروض سيوفٌ تُسلُّ تحت بنودِ

وقول ابي الوليد اسماعيل بن حبيب :

فالارض في بزّة من يانع الزَهرِ — تزري اذا قستها بالوشي والحبرِ
قد احكمتها اكفُّ المزن واكفة — وطرَّزتها بما تهمي من الدررِ
تبرَّجت فسبت منا العيون هوًى — وفتنةً بعد طول الستر والخفرِ

وقول علاء الدين بن غانم

فللهِ روضٌ زرتُهُ متنزّهاً — فأبدى لعيني حسن مرأى بلاديا
غدا الغصن فيهِ راقصاً ونسيمُهُ — يكرُّ على من زارهُ متعديا
ترجلت الاشجار والماء خُرَّدٌ — نسيم الصبا اضحى بهِ متمشيا
تغني لديهِ الوُرق والغصن راقصٌ — فيعرق وجه الارض من كثرة الحيا

وقول يوسف بن لؤلؤ :

باكر الى الروضة تستجلها — فثغرها في الصبح بسّامُ
والنرجس الغض اعتراهُ الحيا — فغضّ طرفاً فيهِ اسقامُ
وبلبل الدوح فصيحٌ على الايكة والشحرورُ تمتامُ
ونسمة الصبح على ضعفها — لها بنا مرٌّ وإلمامُ
فعاطني الصهباء مشمولةً — عذراء فالواشون نوّامُ
واكتم احاديث الهوى بيننا — ففي خلال الروض نمّامُ

وقول ابن الوردي يصف وادي الباب او باب بزاعة في نواحي حلب :

ان وادي الباب قد ذكّرني — جنّة المأوى فللهِ العجب
فيهِ روح يحجب الشمس اذا — قال للنسمة جوزي بأدب
طيرهُ معربةٌ في لحنها — تُطرب الحيَّ كما تحيي الطرب
موجهُ مبتسمٌ مما بكت — سحُبٌ في ذيلها الطيب انسحب
فيهِ روضاتٌ انا صبٌّ بها — مثل ما اصبح فيها الماء صب
نهرهُ إن قابل الشمس ترى — فضةً بيضاء في نهر ذهب

ومن وصف الازهار قول مجد الدين الاربلي وقيل انها لجوبان القواس في الورد :

أُصغي الى قول الوشاة بجملتي — مستفهماً عنهُ بغير ملالِ

لتلقطي زهراتِ وردِ حديثكم من بين شوك ملامة العذّالِ

وقول ابي الفتح البستي فيهِ ايضاً :

لا يغرّنك انني لين الملمس فعزمي اذا انتضيتُ حسامُ

انا كالورد فيهِ راحةُ قومٍ ثم فيهِ لآخرين زُكامُ

وقول بعضهم فيهِ ايضاً :

ارى الورد عند الصبح قد مدّ لي فماً يشير الى التقبيل في حالة اللمسِ

وبعد زوال الشمس القاهُ وجنةً وقد أثرت في وسطها قبلة الشمسِ

وقول الآخر في النرجس :

وقضب زمرّدٍ تعلو عليها عيونٌ لم تذق طعم الغماض

توهمت الغمامَ لهـا رقيباً فنكست الرؤوس الى الرياضِ

وقول جمال الدين بن مطروح في الشقائق والبهار مشبهاً :

لمـا وقفنا للوداع وصار ما كنّا نظنُّ من النوى تحقيقا

نثروا على ورق الشقائق لؤلؤاً ونثرتُ من ورق البهار عقيقا

وقول الآخر في الياسمين :

والأرض تبسم عن ثغور رياضها والافق يسفرُ تارةً ويقطبُ

وكأن مخضرّ الرياض ملاءةٌ والياسمين لها طرازٌ مذهبُ

وقول مهيار الديلمي في الخزامى :

بكر العارض يحدوهُ النعامى فسقاكِ الريّ يا دار إماما

وتمشت فيك أرواح الصبـا يتأرجن بأنفاس الخزامى

وقول ابن الساعاتي في الاقحوان والشقيق والنرجس :

ما الجوُّ الاّ عنبرٌ والدوح الاّ جوهرٌ والروض الاّ سندس

سفرت شقائقها فهمّ الاقحوان بلثمها فرنا اليـهِ النرجسُ

فكأن ذا خدٌّ وذا ثغر يحاولهُ وذا أبدًا عيونٌ تحرسُ

وقول بعضهم في الآس (الريحان) وتفضيلهِ على الورد :

محاسنكم كالورد لوناً وريحةً وعما قليل تنقضي مدة الورد

وحبي لكم كالآس في اللون والبقا مقيم على الحالين في الحرّ والبردِ

ومن وصف الاثمار قول ابن المعتز في الرمان :

يارب بيت زرتهُ فكأنما قد ضمني من ضيقهِ سجنُ
لم يحسن الرمانُ جمع أحبةٍ في قشرة الّا كما نحنُ

وقوله ايضاً في النارنج:

وكأنما النارنج في اغصانهِ من خالص الذهب الذي لم يخلطِ
كرةٌ رماها الصولجان الى الهوا فتعلقت في جوّهِ لم تسقطِ

وقول الآخر في الأُترج:

جسم لجين قميصهُ ذهبٌ مركَّبٌ في بديع تركيبِ
فيهِ لمن شمَّهُ وابصرهُ لون محبٍ وريح محبوبِ

وقول ابن الشقاق في عنب اسود مغطَّى بورق اخضر مرتجلاً :

عنب تطلَّع من حشى ورقٍ لنا صبغت غلائل جلدهِ بالإثمدِ
فكأنهُ من بينهنَّ كواكب كسفت فلاحت في سماء زبرجدِ

وقول عبد الرحمن المشهور بابن الحموي في بطيخة مقطَّعة وفيهِ تشبيه سبعة بسبعة

يقطّع بالسكين بطيخةً ضحًى على طبقٍ في مجلس لا صاحبهُ
كبدرٍ ببرقٍ قدَّ شمس اهلَّةٍ لدى هالةٍ في الأُفق بين كواكبهْ

وقول بعضهم في الباذنجان :

ومستحسن عند الطعام مدحرج غذاهُ نمير الماء في كلّ بستانِ
تطلّع في اقماعهِ فكأنهُ قلوب نعاجٍ في مخاليب عقبانِ

وقول ابن اسرائيل في تفاحة :

حمراء في صورة المرّيخ عاطرةٌ يزري بنشر الحميّا نشرُها العطرُ
اتى بها قاتلي نحوي فهل احدٌ قبلي تمشّى اليهِ الغصنُ والثمرُ

وقول ابن المعتز في الجزر :

انظر الى الجزَر الذي يحكي لنا لهب الحريق
كمذبةٍ من سندسٍ وبها نصابٌ من عقيق

ولهُ ايضاً في القثاء :

انظر اليها انابيباً منضَّدة من الزُمردِ خضراً ما لها ورقُ
اذا قلبت اسمهُ بانت ملاحتهُ وصار مقلوبهُ اني بكم اثقُ

عيسى اسكندر المعلوف

معجم الحيوان

(تابع ما قبله)

البَيْسَة · المتهت (سودانيتان) Oryx beisa

ابو العُرْف (سودانية) Hippotragus equinus. E. Roan antelope. F. Égocère bleu

الثَّيْتَل Bubalis boselaphus. E. Bubale hartebeeste. F. Bubale.

نوعٌ من الظباء الكبيرة المعروفة عند العرب ببقر الوحش وهو اشقر اللون طويل الوجه مرتفع الحارك منحدر الكفل · قرناهُ اقصر من قرني الوعل ولا ينعطفان الى الوراء الأَّ قليلاً ويلتقيان فوق رأسهِ وهو ليس جميل المنظر كالمهاة ولذلك قلما نرى لهُ ذكرًا في اشعار العرب · ويوجد في فلسطين وبلاد العرب وشمال افريقية . وفي المتحف المصري في القاهرة حيوانٌ محنط منهُ

ووصف الثيتل في المؤلفات العربية مشوّش جدًّا فهو في الدميري " الذكر المسن من الاوعال " وفي محيط المحيط " الوعل او مسنهُ او ذكر الاروى وجنس من بقر الوحش " وفي كتاب الحيوان للجاحظ " الثيتل شبيهٌ بالوعل " اي انهُ خلاف الوعل (الجزء السادس صفحة ٩٨) وقد ذكر الوعل على حدة في الصفحة نفسها . وفي الدميري ايضًا في باب بقر الوحش " الثيتل جنس من بقر الوحش " وهو الصحيح · وفي لسان العرب " الثيتل الوعل عامة وقيل هو المسن منها وقيل هو ذكر الاروى .... الثياتل تكون صغار القرون والثيتل ايضًا جنسٌ من بقر الوحش ينزل الجبال .... الثيتل من الوعول لا يبرح الجبل ولقرنيهِ شُعَب والوعول على حدة · الوعول كدر الوان في اسافلها بياض والثياتل مثلها في الوانها وانما فرق بينهما القرون · الوعل قرناهُ طويلان يلتقيان من حول ذنبهِ في اعلاه " . فنجد انهُ التبس عليهم امر الثيتل فلا هو من الوعول اي التيوس الجبلية ولا هو متشعب القرون كالأَيائل بل الثيتل جنسٌ من بقر الوحش يعرف بهذا الاسم لهذا العهد واللفظة شائعة في السودان ويطلقونها على عدة انواع من كبار الظباء التي يسميها الافرنج Hartebeestes والثيتل الموجود في بلاد العرب نوعٌ منها يسميهِ العرب ثيتلاً في يومنا هذا وقد اخذ الافرنج عنهم هذه اللفظة وسموهُ (١) Titel hartebeeste

(١) The Royal Natural History, II,

وورد ذكر الثيتل في التوراة وهو تأو او تو بالعبرانية وعرّبت هذه اللفظة في الترجمة الاميركية بالثيتل في تث ١٤ : ٥ وبالوعل في اشعياء ٥١ : ٢١ وحقها ان تعرّب بالثيتل دائماً كما هي في الترجمة اليسوعية

﴿ الوحش . النوّ [1] (معرّبة) ﴾ Connochœtus. E. Gnu or wildebeeste F. Gnou

﴿ الغزال ﴾ Gazella. E. & F. Gazelle

﴿ الرئم ﴾ E. White gazelle. F. Gazelle blanche جنسٌ من الظباء

وهو في حجم الغزال الاعتيادي المعروف ابيض اللون يعرف منهُ نوعان احدهما يوجد في بلاد العرب Gazella marica والآخر في شمال افريقية الى مديريَّة الفيوم جنوباً Gazella leptoceros وكلاهما يعرفان بالرئم الى يومنا هذا [2]. فاستعمال العرب لهذه اللفظة ينطبق على وصف الرئم في كتب اللغة وهي مجمعة على ان الرئم الظبي الخالص البياض. وظن بوخارت وترسترام وغيرهما ان لفظة الرئم تطلق عند العرب على الوضيحي اي الاركس لان الوضيحي ابيض اللون لكن الرئم عند عرب البادية وفي كتب اللغة نوع من الظباء والظبي عندهم هو الحيوان الذي نسميهِ غزالاً وهو كذلك عند الاشوريين والعبرانيين ولم يطلق العرب هذه اللفظة الأ على ثلاثة انواع منهُ وهي الآرام والأُدم والعُفر كما ذكر ابن سيده وغيرهُ من ايمة اللغة . اما الوضيحي فهو نوعٌ من بقر الوحش عند العرب ولهُ اسماء كثيرة ذكرت بعضها في العدد الماضي والظباء عندهم على حدة . ويظهر ان لاين من القائلين ايضاً ان الرئم هو الوضيحي وزعم ان لفظة الظبي تطلق على الكبير الحجم من هذه الحيوانات وذلك ليفسّر قولهم ان الرئم الظبي الخالص البياض وارى ان وصف الظبي واضح في كتب اللغة فهو نفس الحيوان الذي نسميهِ غزالاً [3] . ولعلهُ في زمن ترسترام ولاين لم يكن هذا الغزال الابيض معروفاً فتبادر الى الذهن ان الرئم هو الوضيحي لان هذا ابيض اللون ايضاً ويظهر ان موسوعات التوراة المطبوعة حديثاً اعتمدت على قول ترسترام وبوخارت [4]

---

(١) كلاهما تعريب المقتطف مجلد ١٩ صفحة ١٩١

(٢) Ad-Damiri by Lt.-Col Jayakar. Sportman's Handbook by Roland Ward.

(٣) انظر لفظتي رئم وظبي في معجم لاين ولا يلتبس على القارىء استعمال لفظة الظبي في الوقت الحاضر فهو اصطلاحيٌ فقط وقد اطلقها المقتطف على ما يسميهِ الافرنج Antelope وهي تشمل بقر الوحش والظباء المعروفة عند العرب

(٤) Encyclopedia Biblica, Art. unicorn

اما الرئم المذكور في التوراة فهو حيوان آخر خلاف الرئم المعروف عند العرب وقد قامت بسببهِ مشاحنات كثيرة بين العلماء وعبّر عن هذه اللفظة بمعان والفاظ مختلفة في كثير من اللغات التي نقلت التوراة اليها فهي Monokeros في الترجمة السبعينية و Unicornis في الترجمة اللاتينية وكلاهما بمعنى وحيد القرن وهو الحريش عند العرب . واما في الترجمات العربية القديمة واخصها ترجمة سعيد الفيومي (١) فهي الرئم في بعض الآيات ووحيد القرن والكركدن والجاموس في غيرها . وقد وجدوا بعد البحث ان صفة الكركدن لا تنطبق على صفة الرئم المذكور في التوراة والرأي المعوّل عليهِ الآن هو ان لفظة رئيم بالعبرانية وريمو بالاشورية ورئم بالعربية اطلقها قدماء الساميين على نوعٍ من البقر الوحشيّ العظيم الجثة وقد باد هذا الحيوان من الشرق فبقيت اللفظة عند العرب واطلقوها فيما بعد على هذا النوع من الظباء من اول عهدنا بتآليفهم الى يومنا هذا وهو رأي القانون ترسترام الأ انهُ قال ان العرب اطلقوا هذه اللفظة على الوضيحي وهو ما اخالفهُ فيهِ اذا جاز لي مخالفة عالمٍ مثله . ومما يرجح هذا الرأي وجود الرئم مرسوماً على الآثار الاشورية بشكل ثور عظيم الجثة وعليهِ فقد ابدلوا وحيد القرن في التوراة الانكليزيّة بالثور الوحشيّ كما تجد ذلك في الترجمة المنقّحة الحديثة

اما في التوراة العربية الحديثة فاللفظة مترجمة بالرئم في بعض الايات وبالثور الوحشيّ والبقر الوحشيّ في غيرها ولا اعلم سبباً لهذا الاختلاف فاما ان تبقى كما هي اي الرئم في كل الآيات او تعرّب بالثور الوحشيّ كلما وردت . ثم انهُ يوجد حيوان آخر خلاف الرئم يسمى ديشون بالعبرانية وعرّب بالرئم ايضاً والمرجح عند علماء التوراة انهُ الادكس اي المهاة والآية هي " والرئم والثيتل والمهاة " تث ١٤ : ٥ وارى ان صحة ترجمتها ما يأتي " والمهاة والثيتل والارويّة (انظر المهاة والاروية في العدد الماضي)

ومن شاء زيادة البحث عن الرئم فليراجع ما كتب علماؤهم في هذا الموضوع مثل قواميس التوراة وحيوانات الكتاب المقدس وحيوانات الآثار الاشورية لهوطن ورحلة بروس في الحبشة الجزء الخامس ورحلة دوطي في بلاد العرب وغيرها

الاعفَر Gazella arabica. E. Arabian gazelle. F. Gazelle d'Arabie

العفر من الظباء التي يعلو بياضها حمرة وهي قصار الاعناق واضعف الظباء عدوًا تسكن

(١) سعيد بن يوسف الفيومي ويسميهِ الافرنج سعديه احد احبار العبرانيين ومن علمائهم المشهورين وكان معاصرًا للمسعودي في اوائل القرن الرابع للهجرة

القفاف وصلابة الارض (الجوهري) وهذا الوصف ينطبق على الظبي المعروف عند علماء الحيوان بالظبي العربي ويعرف بالاعفر لهذا العهد (انظر رحلة دوطي الجزء الثاني صفحة ١٤٥)

﴿ الآدَم ﴾ Gazella dorcas. E. Dorcas gazelle F. Gazelle dorcas

الأُدْم من الظباء غبر الالوان تعلوهنّ جُدَد (الجدتان الخطان على جانبي الظبي) طوال القوائم والاعناق بيض البطون سمر الظهور (ابن سيده بتصرُّف) وتعرف بهذا الاسم الى يومنا هذا كما جاء في رحلة دوطي المذكورة آنفًا واما في المغرب فانهم يطلقون هذا الاسم على نوع آخر من الظباء شبيه بالمتقدم ذكرهُ ويعرف عند علماء الحيوان بغزال كوفيه

﴿ الأَذرَع ﴾ Gazella ruficollis. E. Addra gazelle. F. Gazelle a cou rouge

نوعٌ من الظباء في حجم الغزال الاعتيادي المعروف اغبر اللون احمر العنق والصدر. والادرع في اللغة ما كان لون رأسهِ ونحرهِ مخالفًا للون سائر البدن واظن اللفظة الانكليزية عربية الاصل ولعلّ اهل السودان يطلقونها على هذا النوع من الغزال لكنني لم اسمعها منهم والاسم الذي يعرف بهِ هذا الظبي عند علماء الحيوان معناهُ الغزال الاحمر العنق

﴿ الأَرْيَل ﴾ Gazella dama. E. Ariel. F. Gazelle dama جنسٌ من الظباء اكبر من الغزال الاعتيادي المعروف ابيض البطن والكفل. وهذه اللفظة لم ترد في كتب اللغة على ما اعلم ويطلقها اهل السودان على عدة انواع من الغزلان الكبيرة الحجم وجاء في رحلة بركهارت في سورية ان اهل الشام يطلقونها على الايَل وهو محتمل فقد عثرت على كتاب مخطوط لعبدالله بن جبريل بن بختيشوع ذكر فيهِ الايّل عدة مرات بالحبر الاحمر واللفظة منقَّحة بالاريل بخطٍ غير الخط الاصلي كأن الذي عثر على هذا الكتاب لم تعجبهُ لفظة الايل فاصلحها حسب زعمهِ بالاريل (انظر اريل في وبستر ودوزي)

﴿ الكَشْمبُور ﴾ . ام حنيت (سودانيتان) ﴿ Cobus ellypsiprimnus E. Waterbuck. F. Cobe

﴿ الدِقدِق ﴾ (سودانية) ﴿ Madoqua جنسٌ من الظباء الصغيرة وهو في حجم الارنب جميل المنظر جدًا لذكرهِ ناصية بين قرنيهِ والانثى جماء

﴿ الإِيَل والأَيِّل (ايَل بالعبرانية وايلو بالاشورية وأَيول وأَيور بالمصرية القديمة وابولا بالقبطية) ﴾

الايائل Cervus. E. Deer. Stag. Hind. F. Cerf جنسٌ من ذوات الظلف لذكورها قرون متشعبة مصمتة اي لا تجويف فيها كما في قرون الظباء وهي تنسلخ عنها في كل سنة وتتجدد واما اناثها فجماء اي لا قرون لها . والايل المعروف عند العرب والمذكور في التوراة

يوجد في الشام والعراق وشمال افريقية ويسمى عند علماء الحيوان Cervus dama وهو Fallow-deer بالانكليزية وDaim بالفرنسوية

وقد خلط الدميري بين الايّل والوعل الفارسي والمارخور فترجم الكلونل جايكر لفظة الايّل Bezoar goat وحقها ان تترجم كما ذكرت · ولا بأس من ايراد عبارة الدميري قال "الايّل ذكر الاوعال ويقال هو الذي يسمى بالفارسية كوزن واكثر احوالهِ شبيهٌ ببقر الوحش وهو اذا خاف من الصياد يرمي نفسهُ من رأس الجبل ولا يتضرّر وعدد سني عمرهِ عدد العقد التي في قرنهِ (الوعل) واذا لسعتهُ الحية اكل السرطان (عن ارسطو الأان الاخير قال اذا اكل الشبث [1])وهو مولع باكل الحيات يطلبها حيث وجدها (المارخور حسب زعمهم) وربما لسعتهُ فتسيل دموعهُ الى نقرتين تحت محاجر عينيهِ يدخل الاصبع فيهما فتتجمد تلك الدموع وتصير كالشمس فيتخذ درياقاً لسم الحيات وهو البازهر الحيواني (الوعل الفارسي) ··· وهذا الحيوان لا تنبت لهُ قرون الأ بعد مضي سنتين من عمرهِ فاذا نبت قرناهُ نبتا مستقيمين كالوتدين وفي الثالثة يتشعبان ولا يزال التشعب في زيادة الى تمام ست سنين ···· وقرنهُ مصمت لا تجويف فيهِ". وقد اصاب في وصف القرون فقط واخذ ذلك عن كتاب النعوت لارسطو [2] (الكتاب التاسع الفصل السادس الفقرة الثانية) وسماهُ ارسطو إلافوس باليونانية وهو الحيوان المعروف عند الانكليز بالايّل الاحمر. فالايّل عند العرب هو هذا الحيوان المتشعب القرون وليس الوعل او ذكرهُ كما جاء في كتب اللغة وذلك للاسباب الآتية

اولاً — وردت هذه اللفظة كثيرًا في التوراة وهي نفس اللفظة العبرانية واجمع علماء التوراة على ان المقصود بها هذا الحيوان المتشعب القرون المسمى Cervus dama

ثانياً — يسمى الايّل بلغة اشور ايلو ووجد مرسوماً على الآثار الاشورية متشعب القرون

ثالثاً — يسمي الايل باللغة المصرية القديمة أيول وايور (والراء واللام تتبادلان في هذه اللغة كما فهمت من احمد بك كمال) وهو مرسوم على الآثار المصرية بقرون متشعبة ايضاً

رابعاً — قال اطباء العرب قرن الايل كما قال اطباء الافرنج Cornu cervi وهي الترجمة التي عوّل عليها لوسيان لكلرك في نقلهِ مفردات ابن البيطار الى اللغة الفرنسوية

---

(١) Phalangium

(٢) كتاب نعوت الحيوان لارسطو نقلهُ العرب الى لغتهم والنسخة العربية مفقودة فيما اعلم ويظهر ان اكثر الحقائق الموجودة في حياة الحيوان منقولة عنهُ

والذي يطلع على هذه الترجمة يعلم مكانة المترجم من العلم وتدقيقهُ في البحث . وكذلك فورسكال فانهُ ترجم قرن الايل Cornu cervi اي Hartshorn بالانكليزية (١)

خامساً — جاء في عجائب المخلوقات للقزويني ونقل عنهُ الدميري ان الايل يسمى كوزن بالفارسية وهي Cervus dama في معجم ڤولرس الفارسي اللاتيني

سادساً — يظهر من وصف الايل في الكتب العربية ان قرونهُ متشعبة ومصمتة كما جاء في آخر العبارة من وصف الايل في الدميري وكذلك في وصف اليحمور حيث قال " وقرونهُ كقرون الايل يلقيها كل سنة وهي صامتة لا تجويف فيها " واليحمور نوعٌ من الايائل كما سيجيء . وقد وصف الجاحظ الايل وصفاً مدققاً قال " والايل ينصل قرنهُ كل عام فيصير كالاجم وقرنهُ مصمت وليس في جوفهِ تجويف ولا هو وصمت الاعلى اجوف الاسفل " . وقال ايضاً " ورأينا بعضها ينصل قرنهُ في كل سنة كما تسلخ الحية جلدها وتنفض الاشجار ورقها وهي قرون الايائل " . ولا عبرة بما جاء في كتب اللغة من قولهم ان الايل ذكر الاوعال فالوعل لهُ ما يكفيهِ من التذكير والجاحظ من ائمة اللغة كما لا يخفى وهو اقدم من مؤلفي كتب اللغة المتداولة بيننا (٢) . وقد اصاب الاب لويس المعلوف في صورة الايل في المنجد حيث تجد الايل مرسوماً بقرون متشعبة

استدراك

الاروى — بعد كتابة المقالة التي نشرت في العدد الماضي عثرت بين مخطوطات المكتبة الخديوية على كتابٍ اسمهُ عقد الجمان في منافع وطبائع الحيوان لعبد الله بن جبريل بن بختيشوع وهو اشهر بني بختيشوع واوسعهم علماً ألَّف هذا الكتاب وغيرهُ للخليفة المتقي في اوائل القرن الرابع للهجرة وقد ورد ذكر الاروى في هذا الكتاب وقال عنهُ ما نصهُ بالحرف الواحد " اروى وهو الضأن الجبلي " ثم ذكر خواصهُ ومنافعهُ في الطب وكرر لفظة الاروى عدة مرات وذكر المعز الجبلي على حدة في باب آخر وهذا يثبت ما قلتهُ سابقاً اي ان الاروية الضأن الجبلي وليست انثى الوعول كما جاء في كتب اللغة . وهناك فائدة اخرى وهي ان الضأن الجبلي كان معروفاً عند العرب وموجوداً في بلادهم والاَّ لما ذكرهُ النابغة في قولهِ

بتكلُّمٍ لو تستطيعُ كلامهُ   لدنت لهُ اروى الهضاب الصخدِ

(١) Materia Medica Kahirina, Forskal

(٢) كتاب الحيوان للجاحظ الجزء الثالث ٧١ والسابع ١٥

(٣) توفي الجاحظ سنة ٢٥٥ هجرية فيكون اقدم من الجوهري وابن سيده والفيروزبادي وغيرهم ويظهر من عبارتهِ انهُ رأى الايل ووصفهُ عن خبرة

وكان علماء التوراة حتى الآن في ريبٍ من وجود الضأن الجبلي في بلاد العرب وما يجاورها فان بعضهم فسَّر لفظة زمر العبرانية (تث ١٤ : ٥) بالضأن الجبلي واعترِض على ذلك بان الضأن الجبلي لم يكن معروفاً عند العبرانيين ولا وجود لهُ في فلسطين وسينا والحقيقة انهُ معروفٌ عند العرب ولا بد من انهُ كان معروفاً عند العبرانيين ايضاً وهو موجودٌ في جبال مصر الشرقية ولا مانع من وجودهِ في الجهة الثانية من البحر الاحمر

السِمع — ذكرت في احدى مقالاتي السابقة اني لم اسمع هذه اللفظة في السودان وقد علمت الآن من مصدر يوثق بهِ ان لفظة السمع معروفة عند عرب كردوفان ويطلقونها على الحيوان الذي ذكرتهُ وهو ليس من خرافات العرب بل حيوانٌ قائمٌ بنفسهِ يوجد واحد منهُ في حديقة الجيزة على مقربةٍ من الفهد والنمر الاسود

الدكتور امين المعلوف

دولة آل عثمان

٥

السلطان بايزيد الثاني

ختمنا الكلام في الفصل السابق بوفاة السلطان محمد الفاتح وقد سقطت كلمة في ذلك الفصل اخلَّت بالمعنى وهي كلمة مستعمرات قبل كلمة جنوى والبندقية في السطر ١٣ من الصفحة ١٦٦ فانهُ كان لهما مستعمرات على سواحل البحر الاسود

ذكر ابن اياس وفاة السلطان محمد الفاتح في اخبار سنة ٨٨٦ قال " وفي ربيع الاول جاءت الاخبار بوفاة السلطان المعظم المفخم المجاهد المغازي ملك الروم وصاحب القسطنطينيَّة العظمى .... وكان ملكاً جليلاً عظيماً ساد على بني عثمان كلهم وانتشر ذكرهُ بالعدل في سائر الآفاق وحاز الفضل والعلم والكرم الزائد وسعة المال وكثرة الجيوش والاستيلاء على الاقاليم الكفرية وفتح الكثير من حصونها وقلاعها وكان نائب ملك مملكة الروم في حياة ابيهِ ثم استقل بهِ من بعدهِ ومكث فيهِ مدة طويلة تزيد على احدى وثلاثين سنة ومولدهُ بعد الاربعين والثمانمئة ولما مات تولى بعدهُ ولدهُ ابو يزيد يلدرم الموجود الى تاريخهِ فلما سمع ذلك السلطان (اي الملك الاشرف قايتباي صاحب مصر) اظهر الحزن والاسف عليهِ

ومن يطالع تاريخ ابن اياس يجد انهُ لم يذكر احداً من سلاطين آل عثمان بهذا التبجيل . والظاهر انهُ جرى على المثل العامي القائل ابعدوا حتى احبكم واقربوا حتى اسبكم فان

السلطان سليماً كان اعظم من السلطان محمد الفاتح ومع ذلك لم يذكرهُ بالتبجيل بل اكثر من لومهِ وتعنيفهِ كما سيجيء. او ان ما ذكر عن وفاة السلطان محمد الفاتح مقحم في تاريخ ابن اياس

ولم يكد السلطان بايزيد يجلس على سرير الملك حتى ثار اخوهُ عليهِ وقصد مدينة برصي ودخلها عنوةً فقصدهُ السلطان بايزيد اليها وحاربهُ وتغلب عليهِ فالتجأ الى البلاد المصريَّة.

قال ابن اياس في اخبار سنة ٨٨٦ " وفي جمادى الآخرة جاءت الاخبار من حلب من عند الاتابكي ازبك بان الجام بن عثمان ملك الروم قد وقع بينهُ وبين اخيهِ ابي يزيد وان الجام وصل الى اطراف بلاد السلطان وبعث يستأذن في الدخول الى حلب. فعاد الامر من السلطان للاتابكي ازبك بان يرسلهُ الى القاهرة في قليل من عسكرهِ واستعد لملاقاتهِ ... وفي شعبان خرج الصاحب خشقدم الزمان لملاقاة الجام بن عثمان ومدَّ لهُ اسمطة حافلة ببلبيس والخانكاه ثم لاقتهُ الامراء المقدمون والعسكر ورؤُوس النوَب والحجاب الى المرج والزيات فسار في موكب حافل حتى طلع الى القلعة من بين الترب فاقام لهُ السلطان الموكب بالحوش. فلما مثل بين يدي السلطان وهو جالس على الدكَّة تحرَّك ولم يقم لهُ ثم خلع عليهِ كاملية بسمور حافلة واركبهُ فرساً خاصاً من مراكبهِ بسرج ذهب وكنبوش زركش (١) ونزل من القلعة في موكب حافل وقدامهُ الامراء ورؤُوس النوب وكان لهُ يوم مشهود. وقد قيل في المعنى

يا ايها الملك الهمام ومن لهُ اسدُ الفلا تأتي اليهِ ملجمه
قد فاق قدرك في الملوك تعاظماً مذ صحَّ بين يديك نطق الجمجمه

(وكانوا يسمون هذا الامير جاماً وجمجمة) وانزلوهُ في دار ابن جلود كاتب المماليك التي في فم الخور. وحضر معهُ والدتهُ واولادهُ وعيالهُ وقد فرَّ من اخيهِ ابي يزيد خوفاً على نفسهِ من القتل فالتجأ الى سلطان مصر "

ثم ذكر احتفال السلطان بالامير جام في اوقات مختلفة وقال انهُ سافر الى مكة مع ركب المحمل هو وامهُ وعيالهُ

وقال في حوادث سنة ٨٨٧ ان الحج وصل الى القاهرة في محرم ومعهُ الامير جام لكنهُ قلق من اقامتهِ في مصر وطلب التوجه الى بلادهِ ليحارب اخاهُ فجمع السلطان الامراء واستشارهم في ذلك ثم اذن لهُ في السفر الى بلادهِ على كرهٍ منهُ وكان ذلك عين الخطإ

(١) الكنبوش البرذعة التي تجعل تحت سرج الفرس والزركش الحرير المنسوج بالفضة وقد كان الفرسان في القرون الوسطى يسدلون ملاءة كبيرة من الزركش على ظهور خيولهم تحت السرج فتكاد تغطي الفرس كلهُ وتقيهِ من السهام

ولجأ الامير جم او جام الى فرسان مار يوحنا اصحاب جزيرة رودس فابقوهُ عندهم اسيرًا ثم قتلهُ البابا اسكندر السادس ويقال ان اخاهُ السلطان بايزيد اعطى البابا ثلثمئة الف دوكا من اجل ذلك

ونشبت الحرب بين نائب حلب والسلطان بايزيد ويقول ابن اياس ان الدائرة دارت على عسكر ابن عثمان وكانت هذه الحركة اول الفتن مع ابن عثمان . الَّا ان سلطان مصر اراد استرضاءهُ واشار عليهِ خواصهُ ان يرسل اليهِ هديَّة تزيل هذه الوحشة فانصاع لكلامهم وعين الامير جاني بك حبيب ليذهب بالهديَّة الى ابن عثمان فتوجه اليهِ بحرًا من الاسكندريَّة وارسل السلطان معهُ تقليدًا من الخليفة بان يكون مقام السلطان على بلاد الروم وما سيفتحهُ الله على يدهِ من البلاد الكفرية وكتب اليهِ الخليفة ما يدعو الى اخماد الفتنة التي قامت بينهُ وبين السلطان . قال ابن اياس والذي استفاض بين الناس ان سبب هذه الفتنة بين السلطان وبين ابن عثمان ان بعض ملوك الهند ارسل الى ابن عثمان هدية حافلة على يد بعض تجار الهند فلما وصل الى جدَّة احتاط عليها نائب جدَّة واحضرها صحبتهُ الى السلطان وكان من جملة تلك الهدية خنجر قبضتهُ مرصعة بفصوص مثمنة فطمع السلطان في تلك الهدية واخذ الخنجر فلما بلغ ابن عثمان ذلك حنق وجاء عقب ذلك ان علي دولات ترامى على ابن عثمان وشكى اليهِ من افعال السلطان وما يصدر منهُ فتعصَّب لعلي دولات وامدَّهُ بالعساكر فارسل السلطان الخنجر المذكور والهدية التي بعث بها ملك الهند وارسل يعتذر الى ابن عثمان عن ذلك بعد ان صار ما صار فكان كما قيل

جرى ما جرى جهرًا لدى الناس وانبسط وعذر اتى سرًّا يؤكد ما فرَطْ
ومن ظن ان يمحو جليٌّ خفائهِ خفيُّ اعتذار فهو في غاية الغلطْ

لكن ابن عثمان (اي السلطان بايزيد) لم يكف عن تدويخ اطراف الممالك المصرية فارسل نائب حلب يستحث سلطان مصر على الخروج لقتالهِ ثم قال ان جاني بك حبيب الذي ارسلهُ السلطان الى ابن عثمان عاد من سفرتهِ وخلا بالسلطان واخبرهُ عن احوال ابن عثمان وانهُ لم يرَ منهُ اقبالاً ولا اكرمهُ وانهُ غير راجع عن اذية عساكر مصر . فكثر القال والقيل بسبب ذلك ثم نشب القتال بين جنود حلب وجنود ابن عثمان فدارت الدائرة على جنود ابن عثمان وغنمت الجنود المصرية منهم غنائم كثيرة واسرت جماعة من امرائهم وغنمت مئة وعشرين سنجقًا وقطعت كثيرًا من الرؤوس وارسلتها الى مصر وكانت اكثر من مئتي رأس فلما وصلت اليها زينت القاهرة

وبعث السلطان بايزيد ستين سفينة حربيَّة مشحونة بالسلاح لمقاتلة الجنود المصرية فعصفت بها الرياح واغرقتها . وتوالت الحروب بين الجنود المصرية والجنود العثمانية وكان النصر غالبًا للجنود المصرية على ما رواهُ ابن اياس واخذت مدينة ادرنة بعد ان حصرتها ثلاثة اشهر

وقال في حوادث جمادى الاخرى من سنة ٨٩٣ وفيهِ قدم قاصد من عند داود باشا وزير ابن عثمان يشير على السلطان بان يبعث قاصدًا الى ابن عثمان لعلهُ يكون الصلح فردَّ لهُ الجواب انهُ اذا اطلق تجار المماليك الذين عندهُ وبعث مفاتيح القلاع التي اخذها كاتبناهُ في الصلح وارسلنا اليهِ قاصدًا . ثم جرَّد السلطان جيوشًا جرارة لقتال ابن عثمان فوصلوا الى قيسارية واجتاحوها ونهبوا عدة من ضياعها واحرقوها

والظاهر ان الفوز لم يكن دائمًا للجنود المصرية فقد ذكر ابن اياس في حوادث سنة ٨٩٦ ان السلطان جمع رجال دولتهِ وقال لهم ان ابن عثمان ليس براجع عن محاربة عسكر مصر وان احوال البلاد الحلبيَّة قد فسدت وآلت الى الخراب والتجار منعوا ما كان يجلب الى مصر من الاصناف والمماليك الجلبان يرومون مني نفقة وان لم انفق عليهم شيئًا نهبوا مصر والقاهرة وحرقوا البيوت . ومتى رجع عسكر ابن عثمان الى البلاد الحلبيَّة لا يخرج العسكر من مصر للقائهِ الا بعد ان انفق عليهم . ثم جعل يقسم بالله تعالى انهُ ما بقي في الخزائن شيء من المال وطلب ان يفرض على الاوقاف والاملاك التي بمصر والقاهرة اجرة سنة كاملة يستعين بها على خروج التجريدة . فسكت المجلس ساعة ثم قال القاضي الشافعي لعلَّ الله تعالى يكفيكم مؤنة ذلك . وقال القاضي المالكي ان اجرة سنة كاملة تثقل على الناس ولا يطيقون ذلك فان كان لا بدَّ من ذلك فلتفرض عليهم اجرة خمسة اشهر . . . . . ثم آل الامر الى ما قالهُ قاضي القضاة المالكي وانفضَّ المجلس

واسهب ابن اياس في وصف المظالم التي نتجت عن ذلك ثم قال في حوادث جمادى الاخرى من سنة ٨٩٦ انهُ حضر الى الابواب الشريفة قاصد من عند ابن عثمان وهو من اجلّ قضاتهِ وكان متوليًا القضاء بمدينة بروسه واسمهُ الشيخ علي جلبي فلما صعد الى القلعة اكرمهُ السلطان وبالغ في تعظيمهِ جدًّا واحضر مفاتيح القلاع التي كان ابن عثمان قد استولى عليها فسلمها الى السلطان واشيع امر الصلح . واطلق السلطان الاسرى الذين كانوا مأسورين من عسكر ابن عثمان وكساهم واحسن اليهم فتوجهوا الى بلادهم صحبة القاصد

وجاء في التواريخ الافرنجية ان السلطان بايزيد انشأ اسطولاً قويًا نازل اسطول البنادقة وتغلب عليهِ وكان ذلك اول غلبة بحرية للعثمانيين وانهُ كان محبًا للسلم غير ميَّال الى

الفتوح فلم يضف الى مملكة آل عثمان الأ مدناً قليلة من بلاد اليونان ولذلك خرج عليهِ الانكشارية واضطروهُ ان يتنازل عن الملك لابنهِ سليم فتنازل وتوفي بعد ايام قليلة وذلك في ربيع الاول سنة ٩١٨ ولم يذكر تاريخ ابن اياس المطبوع خبر وفاتهِ لانهُ ناقص تاريخ ١٥ سنة

السلطان سليم الاول

هو اعظم سلاطين آل عثمان واشدهم بطشاً واوسعهم فتوحاً قتل اخويهِ لكي لا ينازعاهُ في الملك وقتل اولادهما ايضاً وزحف على بلاد الفرس وقتل خمسة واربعين الفاً من اهل الشيعة الذين على تخوم بلادهِ لكي لا يعاونوا الفرس عليهِ ونازل جيوش الفرس في وادي چال ديران فاثخن فيهم ودخل تبريز عنوة واستولى على خزائن صاحبها الشاه اسمعيل الصوفي وارسلها الى القسطنطينية وكان قد دوخ ديار بكر وكردستان في طريقهِ الى بلاد ايران . ثم نشبت الحروب بينهُ وبين العساكر المصرية وقد فصَّلها ابن اياس تفصيلاً مسهباً ولعلَّهُ تحامل على الجنود العثمانية ولكنهُ لم يحابِ ولا اخفى الحقائق فنعتمد عليهِ في تلخيص ما يلي لان اكثرهُ من الحوادث التي شاهدها عياناً قال ما خلاصتهُ

ويوم الخميس سلخ صفر من سنة ٩٢٢ اتى ساعيان بكتاب من نائب حلب فيهِ ان الشاه اسمعيل الصوفي ملك العراقين جمع من العسكر مالا يحصي وهم زاحفون على بلاد ابن عثمان وكان في سنة ٩٢٠ قد حصل بينهُ وبين سليم شاه ملك الروم واقعة مهولة وانكسر اسمعيل شاه فاستمرَّ من حين جرى لهُ ما جرى وهو في جمع العساكر واستعان بملوك التتار وزحف على آمد وقتل من كان فيها من العثمانية واستخلصها من يد جماعة ابن عثمان . فلما طرق هذا الخبر مسامع السلطان (اي الملك الاشرف ابو النصر قانصوه الغوري) اجتمع بالامراء في الميدان وتشاوروا الى قرب الظهر وانفضَّ المجلس على تجريد جيش يقيم في حلب ويحرس البلاد الحلبية . ثم جاءت الاخبار بان ابن عثمان كتب الى نائب حلب يقول لهُ انت والدي واسأَلك الدعاء واني ما زحفت على بلاد علي دولات الأ باذنك وهو الذي أثار الفتنة بين والدي والسلطان قايتباي حتى جرى بينهما ما جرى وهذا كان غاية الفساد في مملكتكم وكان قتلهُ عين الصواب . وان البلاد التي اخذتها من علي دولات اعيدها اليكم وجميع ما ترومونهُ ويريدهُ السلطان فعلناهُ . فبعث نائب حلب بهذا الكتاب الى السلطان قانصوه الغوري فاستبشر بالصلح

ومن رأي ابن اياس ان كتاب السلطان سليم ضرب من الحيلة والخداع اما السلطان

قانصوه الغوري فسار بالجيوش المصرية الى ان بلغ دمشق ووردت الاخبار منهُ في جمادي الاخرة انهُ دخل دمشق يوم الاثنين ثامن جمادى الاولى وكان معهُ الخليفة المتوكل على الله والقضاة الاربعة والجيش المصري كلهُ ويقال انهُ دخل في موكب لم يتفق لسلطان مثلهُ بعد الاشرف برسباي وزينت لهُ مدينة دمشق سبعة ايام ثم رحل عنها وسار الى حمص ومنها الى حماه فحلب ودخلها يوم الخميس عاشر جمادى الاخرى وكان لدخولهِ يوم مشهود فمشى الخليفة والقضاة امامهُ وحُملت القبة على رأسهِ حملها ملك الامراء خاير بك نائب حلب. وحال دخولهِ حضر من قبل سليم شاه بن عثمان ملك الروم قاضي عسكر يقال لهُ ركن الدين واحد الامراء واسمهُ قراجا باشا وقالا ان استاذهما فوَّض اليهما امر الصلح وقال ان كل ما اختارهُ السلطان افعلاهُ ولا تشاوراني . قال ابن اياس وكل هذا حيَل وخداع حتى تبطل همة السلطان عن القتال. ثم ان قاضي ابن عثمان احضر فتاوى من علماء بلادهم وقد افتوا بقتل شاه اسمعيل الصوفي وان قتلهُ جائز شرعاً . وارسل ابن عثمان يقول للسلطان في كتابهِ انت والدي واسألك الدعاء وبعث اليهِ بالهدايا الفاخرة وطلب منهُ ان يرسل اليهِ سكرًا وحلوى فارسل اليهِ مئة قنطار سكر وحلوى في علب كبار. ثم انجلي الامر واتضح غرض السلطان سليم فانهُ قبض على رسول سلطان مصر الامير مغلباي ووضعهُ في الحديد . وكان السلطان قد بعث اليهِ بالامير كرتباي الاشرفي بهدية سنية تساوي عشرة آلاف دينار وخلع على قاضي عسكرهِ ووزيرهِ قراجا باشا خلعاً سنيَّة فلما وصل الامير كرتباي الى عينتاب بلغهُ ان ابن عثمان ابى الصلح وقبض على الامير مغلباي ووضعهُ في الحديد فرجع الى حلب واخبر السلطان بما بلغهُ وبان طلائع عسكر ابن عثمان وصلت الى عينتاب وملكت قلعة ملطية فاضطرب السلطان ورجالهُ واستعد لملاقاتهِ واخيرًا التقى الجيشان في مرج دابق قرب حلب في الخامس عشر من رجب وكان حول سلطان مصر اربعون مصحفاً في اكياس من حرير اصفر على رؤوس جماعة من الاشراف وفيها مصحف بخط الامام عثمان بن عفان وجماعة من الفقراء وهم خليفة السيد البدوي ومعهُ اعلام والسادة الاشراف القادرية ومعهم اعلام خضر وخليفة السيد احمد الرفاعي ومعهُ اعلام والشيخ عفيف الدين خادم السيدة نفيسة باعلام سود. والمماليك الذين معهُ كانوا اسودًا لا يهابون الردى فهزموا عساكر ابن عثمان وغنموا منهم سبعة سناجق واخذوا المكاحل التي كانت على العجل ورماة البندق . وهمَّ السلطان سليم بالهرب وقد قتل من عسكرهِ اكثر من عشرة آلاف ولكن بلغ المماليك القراصنة ان السلطان قال للمماليك الجلبان لا تقاتلوا ابدًا وخلوا المماليك القرانصة وحدهم فلما بلغهم ذلك ثنوا عزمهم عن القتال. ثم قتل الاتابكي سودون العجمي

وملك الامراء سيباي نائب الشام فانهزم جانب كبير من ميمنة العسكر ثم انهزم خاير بك نائب حلب فكسر الميسرة . وقيل ان خاير بك كان خائناً وضلعهُ مع ابن عثمان وهو اول من هرب من العسكر ونادى بالهزيمة فبقي السلطان واقفاً تحت السنجق في نفر قليل من المماليك فشرع ينادي يا اغوات هذا وقت المروءة هذا وقت النجدة فلم يسمع لهُ احد قولاً وصاروا ينسحبون من حولهِ وهو يقول للفقراء ادعوا الله تبارك وتعالى بالنصر وهذا وقت دعائكم . وكان اليوم شديد الحر والنصب غضب الله فيهِ على عسكر مصر وغلّت ايديهم عن القتال وقد قلت في هذه الواقعة هذه الابيات

لما التقى الجيشان مع سلطاننا   في مرج دابق قال هل من مسعفِ
فلهُ اجاب لسان حال قائلاً   عرّضت نفسك للبلا فاستهدف

ولما اضطربت الاحوال وتزايدت الاهوال خاف الامير تمر الزردكاش على السنجق السلطاني فانزلهُ وطواهُ واخفاهُ وتقدم الى الساطان وقال لهُ يا مولانا ان عسكر ابن عثمان قد ادركنا فانجُ بنفسك وادخل حلب . فلما تحقق السلطان ذلك اصابهُ فالج عطل شقهُ وارخى حنكهُ فطلب ماء فاتوهُ بهِ في طاسة من ذهب فشرب قليلاً والفت فرسهُ لكي يهرب فمشى خطوتين وانقلب عن الفرس الى الارض فاقام نحو درجة (اي اربع دقائق) وخرجت روحهُ من شدة قهرهِ . ولما اشيع موتهُ هجم عسكر ابن عثمان على من كان حول السلطان فقتلوا الامير بيبرس احد المتقدمين وجماعة من الخاصكية ممن كان حولهُ واما السلطان فلم يُعلم لهُ خبر ولا وقف لهُ على اثر ولا ظهرت جثتهُ بين القتلى . وفقد المصحف العثماني ايضاً وزال ملك الاشرف الغوري في لمح البصر بعد ما تصرّف في ملك مصر واعمالها والبلاد الشامية واعمالها خمس عشرة سنة وتسعة اشهر وعشرين يوماً فانهُ ولي ملك مصر في مستهل شوال سنة ست وتسعمائة وتوفي في الخامس والعشرين من رجب سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة وكان طويل القامة ابيض اللون مدور الوجه مشحم العينين جهوري الصوت مستدير اللحية لم يظهر بلحيتهِ الشيب الاّ قليلاً وكان مهيباً جليلاً تملأ العيون طلعتهُ ولولا ظلمهُ وكثرة مصادراتهِ للرعية لكان من خيار ملوك الجراكسة بل من خيار ملوك مصر قاطبةً وكان ينزل يوم الاثنين والخميس الى الحوش السلطاني ويوم السبت والثلاثاء الى الميدان فينزل من السبع حدرات وقدامهُ طوالتان من الخيل بسروج ذهب وكنابيش زركش وكان يلبس في اصابعهِ الخواتم الياقوت والفيروز والزمرد والالماس وعين الهر وكان مولعاً بشم الرائحة الطيبة من المسك والعود والعنبر ترفاً في ملبسهِ يحب رؤية الازهار والفواكه مولعاً

بغرس الاشجار وحب الرياض وسماع الاطيار المغردة نهماً في الاكل والشرب . وكان لهُ محاسن ومساوئ لكن مساوئهُ اكثر من محاسنهِ . ومن محاسنهِ انهُ كان رضيّ الخلق يملك نفسهُ عند الغضب شديد الاعتقاد بالفقراء والصالحين ويعرف اقدار الناس ويفهم الشعر ويحب سماع الالآت والغناء وكان مغرماً بقراءة التواريخ والسير ودواوين الاشعار ويحب المزح ولم يكن عندهُ شمم ولا كبر نفس

وذكر ابن اياس اسماء الامراء الذين قتلوا او اسروا من الجيش المصري وقال ان المماليك الجلبان لم يقاتلوا فلم يسلّوا سيفاً ولا هزوا رمحاً بل وقفوا كأنهم خشب مسندة وان ابن عثمان (السلطان سليم) غنم كل ما كان في معسكر السلطان الغوري ثم دخل حلب وامتلكها وان اهل حلب قتلوا من لجأ اليهم من العسكر المصري لانهم كانوا ناقمين على المماليك السلطانية لقبح فعالهم فهرب من نجا منهم الى دمشق فوصلوها وهم في اسوإ حال . ثم قال اما الخليفة امير المؤمنين وثلاثة من القضاة وهم الشافعي والمالكي والحنبلي فمضوا الى ابن عثمان وهو في ميدان حلب فاكرم امير المؤمنين واجلسهُ بين يديهِ وانعم عليهِ بمال كثير وردّهُ الى حلب اما القضاة فقيل انهُ وبخهم وقال لهم انكم تأخذون الرشوة على الاحكام الشرعية وتسعون بالمال حتى تتولوا القضاء وما منكم من يرشد الى الخير لانكم لم تمنعوا سلطانكم عن المظالم . واخبرني من رأى سليم شاه ابن عثمان انهُ مربوع القامة واسع الصدر اقنص العنق مكرفس الاكتاف واسع العينين دريّ اللون وافر الانف مليء الجسد حليق اللحية ليس لهُ غير الشاربين كبير الرأس عمامتهُ صغيرة دون عمائم امرائهِ . فلما جاء الى حلب سلمهُ اياها اهلها من غير نزاع وهرب قانصوه الاشرفي نائب القلعة وتوجه الى الشام مع العسكر وترك ابوابها مفتوحة فدخلها ابن عثمان ورأى فيها ما ادهشهُ من مال وسلاح وتحف ورأى من السروج الذهب والبلور واللجم المرصعة والفصوص المثمنة والسيوف المسقطة بالذهب والزرديات والخوذ الفاخرة وغير ذلك من السلاح ما لم يرَ مثلهُ

ثم بيّن ان بعض اخصاء الغوري كانوا معهُ ظاهراً ومع ابن عثمان باطناً فكانوا يكاتبونهُ ويكشفون لهُ عورات الغوري واولهم خاير بك نائب حلب فخلع عليهِ ابن عثمان وسماهُ خاين بك لانهُ خان مولاهُ ولبس زي التراكمة العمامة المدوّرة والدلامة وقص لحيتهُ

ولا يسعنا تلخيص كل ما ذكرهُ ابن اياس عن هذه الواقعة وما يليها لان وصفهُ مسهب جدًّا وفيهِ كلام كثير لغيرهِ كما يظهر من اسلوبهِ فاجتزينا بما تقدم . ووصل فلُّ العسكر المصري الى القاهرة وهم في اسوإ حال من العري والجوع والضعف ولما وصل الامراء الذين نجوا اجمع

رأيهم على تمليك طومان باي الدوادار وحلفوا لهُ انهم لا يخونونهُ وسمي بالملك الاشرف ابي النصر طومان باي وهو السابع والاربعون من ملوك الترك واولادهم في الديار المصرية والحادي والعشرون من ملوك الجراكسة واولادهم وكان اصلهُ من كتابية الاشرف قايتباي اشتراهُ الملك الاشرف قانصوه الغوري ولهذا يدعى طومان باي بن قانصوه . وبايعهُ ابو الخليفة وكان نائبًا عنهُ وقاضي الحنفية ونواب القضاة الثلاثة الآخرين ومن حضر من الامراء واحضروا لهُ خلعة السلطنة وهي الجبَّة السوداء والعمامة السوداء والسيف البدوي وافيض عليهِ شعار الملك وقبَّل الامراء الارض قدامهُ ونودي باسمهِ في القاهرة وفرح الناس بهِ لانهُ كان محبًّا للعوام لين الجانب قليل الاذى غير متكبر ولا متجبر

وجاءت الاخبار الى مصر بان السلطان سليمًا زحف على الديار الشامية وامتلكها. ولخص الامير حيدر ذلك في تاريخهِ لكنهُ لم يوردهُ بعبارة المعاصرين كما اوردهُ ابن اياس فقال ما خلاصتهُ

كانت الديار الشامية في حكم ملوك مصر الشراكسة وكان خير بك نائبًا في حلب والغزالي في دمشق (جان بردي الغزالي) فكاتبهما السلطان سليم ووعدهما انهُ اذا انتصر على الشراكسة يوليهما على الايالات المصرية والشامية ولما التقت العساكر في مرج دابق امر السلطان الاشرف خير بك والغزالي ان يقودا عسكرهُ ويقدما الى الحرب وكان ابن معن وامراء جبل الشوف (بلبنان) مع خير بك والغزالي فقال الامير فخر الدين (المعني) لمن معهُ دعونا ننفرد وننتظر لمن يكون النصر فنقاتل معهُ ولما اضطرمت نار الحرب فرَّ الغزالي وخير بك الى ناحية عسكر السلطان سليم بمن معهم من الديار الشامية . ومن شدة ما جرى على الغوري من الضيق والغضب بسبب خيانة النواب لهُ ضرب نفسهُ بخنجر فقتل وقيل ان احد العساكر قتلهُ . واقام السلطان سليم في حلب الى ان رتب امورها وخُطب باسمهِ في الجوامع ثم ملك حماه وحمص وسار بالعسكر الى دمشق فخرج اهلها للقائهِ فاعطاهم الامان وكتب بالامان الى امراء جبل لبنان فحضر اليهِ الامير فخر الدين المعني والامير جمال الدين اليمني والامير عساف التركماني وغيرهم لكن الامراء التنوخيين لم يحضروا لانهم كانوا من احلاف الشراكسة فاقرَّ الامير فخر الدين على بلاد الشوف والامير جمال الدين على بلاد الغرب والامير عسافًا على بلاد كسروان وبلاد جبيل ورتب عليهم مالاً قليلاً

ثم اسهب ابن اياس في وصف ما لقيهُ السلطان سليم من المماليك في الديار المصرية الى ان استتب لهُ الامر فيها وسنلخص ذلك في الجزء التالي

انباء الاموات

يدَّعي جماعة من الكتَّاب انهُ وصلتهم انباءٌ من الاموات لا شبهة في صحتها وهم يقولون ان ارواح بعض الاموات حاولت التأثير في الاحياء بطرق مختلفة وفي جملتها روح المستر ميرس الذي كان لهُ الشأن الاكبر في المباحث النفسية وروح المستر وليم ستد بن ستد المشهور محرر مجلة المجلات الانكليزيَّة وقد توفي في اواخر سنة ١٩٠٧ والارواح لا تستطيع ان تؤثر الاَّ في بعض الناس الذين فيهم استعداد خصوصي للتأثر بها ولذلك يقلُّ فعلها جدًّا

ومن الناس الذين تؤثر فيهم الارواح على ما رواهُ المستر ستد سيدة لم يذكر اسمها لكنهُ قال انها كتبت لهُ خلاصة ما اوحت بهِ اليها روح المستر ميرس وهذه ترجمتها

" ان الاتفاق قد تمَّ حديثاً بين العالمَيْن (اي عالم الاحياء وعالم الاموات) اجابة لرغبة شديدة بدت منهما كليهما معاً على اظهار ادلَّة علمية لبقاء شخصيَّة الانسان حيَّة بعد خلع الجسد الفاني وعلى انها تبقى قادرة على التجلي ولو وقتيًّا بصورة جسميَّة تشبه جسمها السابق

" ونحن في هذا العالم (عالم الارواح) وانتم في العالم الآخر (عالم الاجساد) متفقون على السعي وراء ذلك ولكن لكل فريق منا غرض خاص يختلف عن غرَض الفريق الآخر . فانتم مهتمون باثبات التجسُّد وبانهُ حقيقة مقررة واما نحن اي الذين يعتقدون منا ان التجسُّد حقيقة مقررة فغرضنا ان نعلم ما هي الوسائل اللازمة لجعل هذا التجسُّد امرًا فعليًّا

" والنجاح بطيءٌ في هذا الامر عندنا كما ان النجاح بطيءٌ عندكم في كل الامور المبنيَّة على التجربة والامتحان . وقد فشلنا مرارًا كثيرة والصعوبة عندي انا قائمة في انتقائي الوسطاء واما الآن فلم اعد اعنى بهذه الصعوبة لانني وجدت السيدة طمسن وفيها قوة نفسيَّة فائقة تفوق ما في زوجها لان الهيولى[1] التي تنبعث من نفسها تستطيع ان تتكيف بكيفية جسميَّة ولا يُعلم حتى الآن ما هو سبب ذلك . وانا حاصر همي الآن في الاشتغال بهذا الموضوع وقد وجدت انهُ لا بدَّ من توفر بعض الوسائل ليصير التجسم امرًا فعليًّا وان هذه الوسائل متوفرة في السيدة طمسن وقد يكون بعضها موزعًا بين الحضور على درجات مختلفة فاذا اجتمعوا واتفقوا صاروا كحلقات البطرية الكهربائية وحصل من مجموع قواهم ما يماثل القوة التي في السيدة طمسن

(١) الكلمة الانكليزية aura وهي يونانية معناها الهواء المتحرك او النسيم ويراد بها اصطلاحًا شيء لطيف يزعم اهل الارواح انهُ يكون حول بعض الناس وان الارواح تتجسم بهِ

" ولا بدَّ لاظهار هذه القوة من الاتفاق التام. والشك عدو ألدّ للنجاح وما هو الاَّ انكارٌ في صورة الريب ولكن يظهر انهُ اذا مزج الشك العلمي بما يكفي من الاتفاق واخلاص النية سهل اجراءُ التجارب من الجهتين

" ولذلك رضي الذين كانوا شركائي (في المباحث النفسيَّة) ان يشتغلوا مع المستر ستد واول جلسة حدثت في بيتهِ في ٩ ينايركانت من النوع الغوائي وجرى فيها التدقيق التام لمنع الغش ولقد كان لها شأن كبير عندي ورأيت فيها لاول مرة ما هي الشروط اللازمة لجعل التجسُّد ممكنًا ورأيت اسباب الفشل الظاهر والاساليب التي ستؤَدي الى النجاح اخيرًا

" ولذلك فالجلسة الاولى كانت بالنسبة الينا حسنة جدًّا وانكاري امكان التجسُّد بمثابة انكاري شهادة حواسي . ولكن السيدة طمسن شديدة التأَثر العصبي ولذلك تعذَّر عليها ان تحتمل ما احتملتهُ زمانًا طويلاً . ولاحاجة بي الى وصف الاعمال التي تمت حينئذٍ. وقد طلب المستر ستد بناءً على رغبتي الشديدة ان لا يحدث شيءٌ الاَّ ما يشاءهُ الله

" وقد وقفنا في ذلك النور الضئيل نرَى ولا نُرَى ونضحك رغماً عنا اذ نرى كيف يتأثر الجلوس على صور مختلفة حينما رأَوا الظاهرة الاولى (وهي طاقة كبيرة من الازهار المختلفة الانواع) . ولكن اظهار هذه الظواهر ليس الغاية التي نسعى اليها

" ولقد شاهدت الارواح تخرج من الخزانة المظلمة متردية اردية مختلفة لكي تثبت للحضور بالكلام والاشارات انها موجودة ملموسة ويمكن الشعور بها "

وقد قدَّم المستر ستد لهذا الكلام مقدمة قال فيها انهُ احضر السيدة طمسن الى بيتهِ وكان هو وجماعة من نخبة القوم فعروها والبسوها ثيابًا احضروها لها وانهُ هو صنع لها الخزانة التي اقامت فيها من الستائر وان السر اولفرلدج رآها ووضع الستائر بعضها مع بعض. وطبع المستر ستد شهادة من الحضور تدلُّ على انهم عرُّوا تلك المرأة واكدوا انها لا تحمل شيئًا مما اظهرتهُ بعدئذٍ . والثياب التي البسوها اياها كانت سوداء

نقول ونحن احضرنا حاويًا منذ نحو عشرين سنة وادخلناهُ غرفةً في بيتنا وعريناهُ من ثيابهِ ومع ذلك صفر واستخرج حية من تحت مائدة كانت في تلك الغرفة. ولما اعيتنا الحيل ولم نستطع ان نكتشف كيف استخرجها اعطيناهُ ريالاً فكشف لنا الحيلة التي استعملها وخدعنا بها وهي انهُ كان ينقل الحية من مكان الى آخر وهو يخلع " زعبوطهُ " واخيرًا نزعها عن جسمهِ مع الزعبوط وكان قد ارانا ان الحيات كلها في كيس معهُ وقد ابعدنا الكيس عنهُ اما زعبوطهُ فانفنا من لمسهِ بايدينا فجمعهُ في احدى يديهِ والحية فيهِ ثم احتال حتى نقلها

الى اليد الاخرى وكان قد مدها الى تحت المائدة وهو يصفر للحية واخرجها منها

واذا كانت المرأة التي عرّاها المستر ستد ورفاقهُ قاصدة ان تغشهم لا يتعذَّر عليها ذلك. وامرأة لا تأنف ان تتعرى امام الرجال لا يكبر عليها ان تغشهم ولو كانوا شيوخاً طاعنين في السن. واذا كانت امينة صادقة ولم تقصد ان تغشهم فلا يبعد ان يكونوا هم انفسهم قد تخيلوا ما رأوه وسمعوه تخيلاً كما يتخيل النائم اموراً كثيرة لا وجود لها الاَّ في ذهنهِ وان يكونوا قد حركوا اقلامهم فكتبت ما في اذهانهم وهم يحسبون ان القوة المحركة لها آتية من الخارج ولذلك امثلة كثيرة في كثير من الآفات العصبيَّة

اما الاعمال التي عملتها تلك المرأة فهي اولاً انها اخرجت من الغرفة المظلمة ازهاراً مختلفة. ثانياً ظهرت خارج الغرفة بثياب بيضاء لاصقة بجسدها وعليها نقاب ابيض مع انها لما دخلت الغرفة كانت لابسة ثياباً سوداء. ثالثاً اظهرت ارواحاً مجسمة قال بعض الحضور انها تشبه اقاربهم المتوفين في الهيئة والكلام والحركات وقال المستر ستد ان ابنهُ كان بينها وانهُ رآهُ جلياً وسمعهُ يقول لهُ يا ابي يا ابي يا ابي وامسك المستر ستد القلم وطلب من ابنهِ ان يحرك يدهُ ويصف كيف تجلَّت تلك الارواح فكتب ما ترجمتهُ

" ان حول الوسيط (١) هالة من الهيولى اكثف من الهالة التي حولك وهي تنبعث منها كما تنبعث الاوردة الدقيقة من الشرايين الكبيرة ومن هذه الهيولى تؤخذ المادة اللازمة للتجسم والتقمُّص وفي الحالة الثانية تصنع الارواح اقمصة من هذه الهيولى وتلبسها كما تلبس الخياطات الاثواب لتمثال من الخشب . وهيولى الوسيط كافية لالباسهِ اللباس الذي يختارهُ وجعله مشابهاً للشخص الذي يراد تشبيهُ بهِ. اما التجسم اي لبس الروح جسماً فاصعب من ذلك لانهُ يستلزم عمل جسم جديد ولا يعمل هذا الجسم كاملاً في كل اجزائهِ بل يعمل منهُ ما يكفي لتمييزهِ ولا حاجة حينئذٍ الى تكوين اعضائهِ الداخلية بالتفصيل فالجسم الذي صُنع لي ليس فيهِ الأ رأسي وجذعي ولم تتم يداي ولا رجلاي فلم يكن في طاقتي ان امشي وكأن مقداراً من الجبس افرغ على جسمي الروحي وشعرت انهُ لا يسهل على جسمي الروحي حمل رأسي وجذعي الماديين وكنت كمن أُسبغ عليهِ درع من الفولاذ ولكنني كنت قادراً على استعمال اوتاري الصوتية وقد تلفظت بثلاث كلمات. واذا أُريد ان يكون التجسم تامًّا وجب اخذ المواد اللازمة لهُ من هيولى الوسيط ومن هيولى غيرها من الحضور . والارواح تستعمل الهيولى كما يستعمل الخزاف الطين فتكثفهُ وتكيفهُ كما تشاء وهذا العمل يستحق النظر وقد

(١) اي المرأة طمسن وكل شخص تظهر الارواح بواسطتهِ او تظهر بواسطتهِ اعمال الهبنوتزم يسمى وسيطاً

ساعدتْ فيهِ روح جوليا (كانت من رفيقات المستر ميرس في المباحث النفسيَّة) اما انا فلم اساعد فيهِ بل بقيت واقفاً ارى ما يجري. واذا وزنت الوسيط حينما صُنع جسمي من هيولاها وجد وزنها اخف مما كان واذا وُزنت انا وهي فوزننا كلينا اثقل من وزنها وحدها لان بعض جسمي أُخذ من هيولى غيرها من الحضور. ولم يؤْخذ منهم على السواء لان بعضهم لا يعطون شيئاً من هيولاهم. والعمل دقيق ولا يخلو من الخطر ونحن في عالم الارواح نحتاج الى موازرتكم لنا في الفكر فاذا وازرتمونا فلا حدَّ لما يمكن ان نفعله"

وبعد ان ذكر المستر ستد ما كتبهُ بيدهِ وقال ان روح ابنهِ كانت تحرك يدهُ اتمَّ ما قيل ان روح المستر ميرس حرَّكت يد احدى السيدات لتكتبهُ ثم قال قد لا يكون المستر ميرس هو الكاتب لما تقدَّم ولا تكون روح ابني هي التي حركت يدي للكتابة ولكن لا شبهة عندي انني رأيت وجه ابني وسمعت صوتهُ وقد رآهُ ايضاً وسمع صوتهُ الشخص الذي كان جالساً امام باب الخزانة. فما رأيتهُ وسمعتهُ وكتابتي لامور اوحيت اليَّ كل ذلك جعلني اعتقد ان في السيدة طمسن قوة روحيَّة يمكنها ان تستعملها احياناً لاظهار ظواهر مثل هذه في احوال تنفي وجود الغش. والذين ينكرون ذلك يتعذَّر عليهم ان يفسروا ما رأيتهُ وسمعتهُ وكتبتهُ

هذه خلاصة ما كتبهُ المستر ستد في هذا الموضوع في مجلتهِ ويا حبذا لو أُغريت السيدة طمسن بالمال حتى تكشف سر عملها ان كانت تستعمل الحيلة والخداع واما اذا كانت صادقة وكانت ارواح الموتى لا تزال في هذه الارض وهي تتجسم احياناً وتظهر للاحياء فيكون ذلك اعظم اكتشافات العصر العلمية

ومما استغربناهُ ان ما كتبتهُ الكاتبة بالهام روح المستر ميرس على ما تقدم لغتهُ محكمة كابلغ ما يكتبهُ كبار الكتاب. وتكوين الازهار من الهيولى على ما فيها من اختلاف الانواع والالوان من اصعب الاعمال. فاذا كانت الارواح تستطيع ان تنشئَ مثل ذلك فلماذا لا تعلم الاحياء بتفصيل الاحوال التي هي فيها فان ذلك اهمُّ لنا من تفصيلها كيف تكوّن اجسامها من هيولى الوسطاء. وما من احد الاَّ وهو يود ان يعرف ما آل اليهِ حال احبائهِ بعد موتهم. وعسى ان لا يكون تجلي الارواح هذا وهماً في وهم بل يكون امراً حقيقياً تحلُّ بهِ اهم مسألة شغلت عقول الناس من قديم الزمان الى الآن وهي الى اين نحن سائرون وماذا يكون بعد الموت

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقّان من أصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

الدستور والاسلام

ما كادت مظاهرات العثمانيين يوم نودي بالدستور تبلغ بهجة التبسط في الفرح حتى انفرد بعضهم استياءً منهُ لاقتضائهِ الحرية والمساواة . ولا غرابة فان الاختلاف في الجديد لا تخلو منهُ امة من امم العالم والعثمانيون اقل اختلافاً من سواهم واقربهم الى الاتفاق وخصوصاً متى ادركوا الحقيقة فانك لا تجد حينئذٍ فيهم من يكابر ولكنهم اختلفوا في الدستور على علمهم بفضلهِ وعلى ما تحملوهُ من ضغط الاستبداد وقهرهِ بدسائس اعدائهِ اولئك الذين قد طرقوا الطعن فيهِ من باب ديني تعزيزاً لمقاصدهم ولذلك جعلنا موضوع كلامنا (الدستور والاسلام) حتى يتأكد لحضرات الذين قد شوَّشت المطاعن اذهانهم وكدَّرت افهامهم ان الدستور ليس بالشيء الحادث الذي لم يعهد قبلُ . وفضلاً عن ذلك ان الاختلاف ولاسيما في المسائل العمرانية ضرب من التخريب فمن الضرورة ان نفهم الحرية والمساواة بمعناهما الصحيح حتى يمكن لنا الوصول الى الحقيقة فان لم نفهمهما كذلك فليس وراء المفهوم غير حرية محظورة ومساواة مستحيلة واليك البيان .

ان جميع ما يرى على الارض من شرور الانسان صادر عن حريتهِ المحضة اي الحرية المفطور عليها ولولاها لما دعت الحاجة الى اقامة حكومة . فوالحالة هذه ما استطاع الانسان ان يجتمع منقيداً بشريعة تحفظ حقوقهُ حتى باع حريتهُ المحضة للعدل وأصبح مسئولاً امامهُ عن كل ذنبٍ يقترفهُ وهو انما رضخ لذلك لعلمهِ ان باجراء العدل حرية اجتماعية تخولهُ التمتع بخير الحضارة والعمران

تلك هي حرية الدستور التي نستاءُ منها وهي في حصر المعنى عبارة عن اجراء العدل وليست

هي وحدها كذلك بل المساواة وسائر الاحكام الدستورية بدليل وجود الكل حيث يكون الاجراء وليس ثمَّ دستور. فان قيل ان لهذهِ الحرية معنى آخر يضر بالعوائد والعقائد. قلنا: ان المقول محمول على اشتراكها في الاسميَّة مع الحرية المحضة ألا ترى كيف ان العامة عندنا وبعض خاصتنا الذين يدعون الخاصة بدون حق لم يفهموا لها معنىً غير ما يستفاد منهُ عدم المسئولية بالاطلاق حالة كون مسماها على طرفي نقيض — هذه للخير وتلك للشر. فما حرية الدستور الاَّ لوقوفنا ازاء السلطة الحاكمة احراراً نتكلم بالسنتنا ونكتب باقلامنا ونسعى بالاشتراك مع حكومتنا في ما يوفقنا الله اليهِ من اسباب التقدم والنجاح مغذين حياتنا الاجتماعية بالغذاء الذي نجدهُ نحن انفسنا صالحاً لها بدون ان يكون فوقنا يد تغلبنا على امورنا

وغني عن البيان ان شر الانسان في ازمنة الاستبداد اكثر منهُ في ازمنة الدستور وسبب ذلك ان المظالم تقوي فيهِ حريتهُ المحضة حتى يغدو كل فرد من الهيئتين (الحاكمة والمحكومة) لا همَّ لهُ الاَّ الجري وراء مصالحهِ الخصوصية فتكثر حينذاك الشرور وتستولي الرذيلة وتنحدر البلاد باهلها وبعوائدهم وعقائدهم معاً في دركات الشقاء والانحطاط. وهذا كلهُ مشاهد فينا وفي كل امة يتأمرها حكام ظلام فاذا كنا نخشي في حال الدستور ان يلحق بعوائدنا وعقائدنا اضرار ادبية ودينية فبالاحرى ان نخشي ذلك في حال الاستبداد زمان لا يكون غير الرياء والخداع والكذب والنفاق الى آخر رذيلة مضرَّة بالدين والآداب. على ان حرية الدستور قد تجري مجرى الحرية المحضة اذا لم تتهيأ لها اسباب الخير او تهيأ بعضها وأُغفل البعض الآخر كما هي الحال عند الامم الراقية وسنأتي على ذلك في وقت آخر ان شاء الله. فعلينا اذن ان نهتم باستعمال حرية الدستور في ما وضعت لهُ دفعاً للشر فما الاستياء منها الاَّ ضغث على ابالة

تقدم ان المظالم تقوّي في الانسان حريتهُ المحضة ولتحقيق ذلك نقول: كما ان هذه الحرية قد باتت اسيرة العدل من يوم اجتمع الانسان تحت ظل الشرائع والاحكام كذلك الحرية الاجتماعية المعروفة بحرية الدستور اسيرة الظلم لما ان كلاً منهما (اي العدل والظلم) عامل على معاكسة الآخر. وعليهِ فاذا حلَّ الظلم محل العدل أُطلق سراح الحرية المحضة كما ان العدل يطلق سراح الحرية الاجتماعية ولا اشكال في كل ذلك

هذا ولا بدَّ لنا وان نعلم ان من الاضرار التي نخشاها ما يعدهُ غيرنا نافعاً — اولئك الغير الآخذون بحقائق الامور الذين من حوضهم نغترف فعلينا ان نحذو حذوهم في جميع امورنا العمرانية حتى لا يبقى لهم مطمع في الانتفاع من ضعفنا كما هي الحال الحاضرة. فان لم نفعل

نظل حيث نحن ولو أُعطينا الف دستور بدل الدستور الواحد او نبيت هدفاً لعوامل التقهقر الى درجة الانقراض حتى لا يبقى منا احد يخبر الامم عن جهلنا — هذا اذا بقيت البلاد بلادنا والملك ملكنا

ومن غرائب احوالنا نحن العثمانيين اننا نأخذ بمعاضدة خصوم الارتقاء على شدة احتياجنا اليهِ وعلى علمنا بما كان عليهِ اسلافنا قديماً زمان كانوا لا ينامون عن الجد وراء احراز المجد

هذا ولكي نعرف نوع حرية الدستور ومقدار نطاقها حق المعرفة ينبغي ان نقابلها بحرية دستور الاسلام قديماً — تلك الحرية التي منحها عمر بن الخطاب للناس يوم قال لهم " من رأى منكم فيَّ اعوجاجاً فليقوّمهُ " فاذا قابلنا تبيَّن لنا وحدة النوع بينهما وان حريتنا اضيق نطاقاً من حرية اسلافنا الاقدمين لان ذلك النطاق الغريب قد وسع الحرية بجميع معانيها التي يمكن للعقل ان يتصوَّرها . فاذا لم يكن بدٌّ من الاستياء من حرية الدستور فلنستأْ من ضيق نطاقها التماساً للمزيد حتى يعادل ذلك النطاق القديم

على انهُ لمن المحال ان نجد اليوم بين حريات الامم الراقية ما يعادل الحرية التي اثبتها هذا القول . نعم قد سمعنا عاهل الالمان يقول لشعبهِ " انا خادمكم اسألوني فأُلبيكم " غير ان هذه الحلية التي حلَّى بها سلطانهُ هي صنعة يد العصر لا صنعة يدهِ فاين هو من ذلك الامير العربي الرافع لواء العدل الذي اندفع من تلقاء نفسهِ الى منح الحرية لشعبهِ من دون ان يسبقها طلب او ادنى حركة مقلقة من حركات هذا العصر القائمة عندهم ضد السلطات . وايَّة حرية لشعبٍ من شعوبهم تضاهي جواب ذلك الشعب العربي بلسان واحد منهم نهض قائلاً "لو رأينا فيك اعوجاجاً لقوَّمناهُ بسيوفنا " بل ايَّة منحة في عوالم السلطات تقاس بقول ذلك الخليفة العظيم الشأن " اشكر الله الذي جعل من يقوّم اعوجاج عمر بسيفهِ "

نقول : كما ان الحريَّة الاجتماعية عائد فضلها الى الاسلام كذلك المساواة لان مقدار الاسوة الذي جاءت بهِ الشريعة الغراء لم يسمع بمثلهِ قط . ولا حاجة الى ايراد ما يؤكد ذلك كقول عمر لاميرٍ ضرب اعرابياً " لا فرق عندنا في القضاء بين الامير والصعلوك " وكاستواء عليّ فيهِ مع رجل من عامة الاسرائيليين — لان ما جاء في الاسلام من نحو هذه الفضائل اعلى شهرة من ان يذكر فكلنا يعلم بما كان لليهود والنصارى في صدر الاسلام من الحرية الشخصية والمساواة في الحقوق اذ كان لهم ما للمسلمين بلا خلاف ولا يزال صدى ذلك القول المأثور " لهم ما لنا وعليهم ما علينا " يدوي حتى في آذان العامة ولا يرد

عليهِ ما حرموهم اياهُ من الحقوق الوطنية فان ذلك الحرمان لم يكن من الشريعة اصلاً وانما اقتضتهُ السياسة زمانئذٍ لضعف الثقة بهم اذ كانوا حديثي العهد بالمواطنة وكانت الفتوحات مدار السياسة الاسلامية

ولا جدال ان دولة الاسلام الاولى كانت تحكم باحكام دستوريَّة محضة . ولا يشكل بعدم قيام مجالس نيابية فيها فانهُ لا علاقة بينها وبين الدستور الأ من حيث الخوف من الرجوع الى الاستبداد خصوصاً وان الدستور لم يكن منهُ الاَّ احكامهُ اي ان اسمهُ ما كان معروفاً عندهم فكان الدين قائماً مقامهُ لمنع السلطة عن الاستبداد . وواضح ان انتشار روح الدين ايامئذٍ بقوة راسخة واتخاذ الشريعة اساساً لكل عمل اغناهم عن كل ذلك اذ لم يكن قط ما يدعو الى الخوف من استيلاء الاستبداد

غير ان الانسان يبطر والايام تتغير فلم يكن الأ ردح من الدهر حتى دبَّت عقارب الضغط والقهر فتوارى العدل وتنوسي الفضل وبرز الظلم وانطفأ نور العلم

ولذلك اسباب سياسية منها تجزُّؤُ المملكة العربية زمان لم يبقَ في وسع الخلفاء اخضاع العمال الذين مرقوا من طاعتهم وتحكموا في رقاب الناس كيف شاؤُوا . ومنها غارة جبابرة اجتاحوا البلاد بحملاتهم وهتكوا حرمة العدل باستبدادهم . واخيرًا مظالم الالتزام ايام كانت البلاد تباع اقساماً اقساماً لمدَّات معينة والحكم لمن يدفع الاكثر وكان الشارون يدخلونها فاغري الافواه لابتلاع اموال الناس . واظن ان سوريا لاتخلو اليوم من شيوخ قد لحقوا شيئاً من ذلك البلص . على ان الاستبداد الاخير قد رجع بالبلاد الى مثل ذلك الالتزام اذ كان الولاة والمتصرفون يبتاعون مراكز الحكم بالمال كما هو معلوم

فامر مسلَّم هو ان تلك الشدائد السياسية مع انطفاء نور العلم الديني والدنيوي معاً وابتداع تعاليم فاسدة اتخذها الناس قاعدة للمظالم — كل ذلك جعلنا وراء سائر الامم بين ان وسائل التقدم منا على قاب قوسين — ولكن ما الحيلة اذا كنا نأبى الاَّ ان نعيش لعوائد راسخة نجد بها لذة التفوق والسيادة على علمنا بان اسلافنا الاقدمين كانوا يستخرجون من مكنونات الدين الاجتماعية جواهر باهرة وباننا كلنا اخوة في البشرية والوطن . ألسنا نعلم ان تلك العوائد هي غرسة يد الجهل لا غرسة الدين فحتى مَ اذن نتقاعد عن استخدام قوة الارادة لقلعها . فان كان ولا بد لنا من الامتيازات الدينيَّة فلنتوقعها في السماء دون الارض لان للامتيازات الارضية احوالاً اخرى لاتعلق لها بالدين وهاك بيان ذلك

ليس يخافٍ ان المساواة التي اسمعنا اياها الدستور هي المساواة في الحقوق ليس غير

لان المساواة في غير الحقوق مستحيلة على الارض . ثم من المعلوم ان كل فرد من افراد الانسان يختلف عن غيره في الاخلاق والمدارك والاستعداد الى آخر ما هنالك من المميزات بين الافراد حتى يستحيل وجود اثنين متساويين . وعليهِ فاذا طالب احد منا غيره بالمساواة في غير الحقوق فانما يطالبهُ بالمستحيل ولعل هذه المساواة لا توجد حتى ولا في عالم واحد من عوالم الاكوان كلها لاختلاف طبائع الكائنات . اذن اية مساواة جاءنا بها الدستور ان لم تكن المساواة في الحقوق حال كونهِ لا يستطيع ان يوجد لنا مساواة اخرى غيرها ولو عززناهُ بملايين من الدساتير

هذا ومن آفات الحياة الاجتماعية التي نجدها في بلادنا دون سائر بلاد الله ان نرى زيدًا من الناس يدعي التفوق على عمرو لاختلافهِ عنهُ دينًا كأَن الدين جاء ليعلو بالوضيع على الرفيع . مع ان مقامات الناس انما تكون بحكم التأثير في الهيئة الاجتماعية فكل مقام لا تاثير لهُ فيها كمقام الغني اللئيم مثلاً هو باطل . فالوثني المحسن الصالح مثلاً أَعلى مقامًا في نظر الارض والسماء معًا من اللئيم المسيء المتدين باحد الاديان المنزلة لمجرد التفاخر بدينهِ . ومقام العالم الوثني فوق مقام الجاهل مهما كان دينهُ . ومقام فيلسوف من فلاسفة اليونان كارسطو وسقراط يعلو على جميع ما في شرقنا الآن من المقامات . فاذا رأَيت عطلاً يحدثك عن معبودهِ او عن جدودهِ فاولهِ ظهرك وامشِ لان المقامات الصحيحة انما تقوم بالذاتية

مرسين جرجس خولي

المكاتب العربية

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

اطلعت على الخطب التي تليت يوم افتتاح الجامعة المصرية ونشرتموها في جزئي يناير وفبراير وقد وقفت امام عبارة تاريخية وردت في خطبة حضرة احمد بك زكي سكرتير الجامعة وهي قولهُ " ان المكتبة التي جمعها بطرابلس بيت من بيوت القضاة وهم آل عمار بلغت ٣٠٠٠٠٠٠ مجلد ولكنها قضى عليها نحس الطالع فذهبت كلها طعمة للنار "

فهل يريد حضرة زكي بك انهُ كان في طرابلس الشام مكتبة لبعض قضاتها تحوي ثلاثة ملايين من المجلدات افلا تظنون انهُ وقع خطاءٌ مطبعي والصواب حذف صفرين من الاصفار الستة فان ذلك اقرب الى العقل وثلاثون الفًا من المجلدات ليست مما يستهان بهِ بل هي مكتبة كبيرة جدًّا اذا احتواها بيت انسان واحد اما اذا حوت تلك المكتبة ثلاثة ملايين

مجلد فتكون اوسع مما استطاع جمعهُ المتقدمون والمتأخرون في مكتبة واحدة فارجوان تفصحوا لنا عن رأيكم في ذلك ولكم الفضل بيروت احد الطلبة

[المقتطف] لا ندري عمن نقل حضرة الخطيب ما نقلهُ. وقد جاء في تاريخ سورية الذي الفهُ حضرة المؤرخ جرجي افندي يني الطرابلسي في الصفحة ٣٨٢ما نصهُ" ان خزائن طرابلس كانت ملئت من الكتب المفيدة التي احالها الافرنج رماداً فخسر العالم بفقدها كنزاً عظيماً فان بين مجلداتها كثيرًا من كتب الفرس والعرب واليونان وكان فيها عديد من الكتبة يشتغلون على الدوام بنسخ كتب الخط وقال ابن طيء المؤرخ العربي ان عدد هذه الكتب كان ثلاثة ملايين من المجلدات غير ان مؤرخاً آخر يقول ان عددها لم يتجاوز المائة الف مجلد وان جامعها القاضي ابو حسن طالب وهو نفسهُ قد ألف كثيرًا وانهُ كان متولياً البلدة وقد بعث برسائل الى الاقطار مفتشاً عن الكتب النادرة مهما كان ثمنها عظيماً وقد ندب مؤرخو العرب فقدان تلك المكتبة على ان المؤرخين الصليبيين القدماء لم يذكروا عنها شيئاً ليستروا زلة قومهم"

وواضح مما تقدم ان احد مؤرخي العرب جعل عدد تلك الكتب ثلاثة ملايين اي اكثر مما استطاع جمعهُ اي ملك كان من الملوك العظام واكثر مما في المكتبة الانكليزية الكبرى والمكتبة الالمانية الكبرى ومثل ما في المكتبة الفرنسوية الكبرى او اكثر منهُ وان مؤرخاً آخر قال ان عددها مئة الف فقط وان اسم جامعها هو القاضي ابو حسن طالب. وقد نقل كترمير في تاريخ المماليك ان عددها مئة الف ايضاً وان الذين جمعوها آل عمار ونقلت ذلك الانسكلوبيذيا البريطانية في كلامها على طرابلس اما ابن الاثير وابن خلدون فذكرا اخذ الافرنج لطرابلس ولم يذكرا شيئاً عن حرق كتبها وواضح مما جاء في ابن الاثير ان آل عمار كانوا ولاة طرابلس او على الاقل القاضي فخر الملك ابو علي ابن عمار. وقد قال ابن الاثير ان الافرنج نهبوا من اهل طرابلس الاموال والامتعة وكتب دور العلم الموقوفة ما لا يحدُّ ولا يحصي ولم يقل انهم احرقوها وكان ذلك سنة ٥٠٣ للهجرة وكان ابن عمار والياً على طرابلس فقد ذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٥٠١ ان القاضي فخر الملك ابا علي ابن عمار صاحب طرابلس الشام ورد الى بغداد قاصداً باب السلطان محمد مستنفرًا على الفرنج طالباً تسيير العساكر لازاحتهم عن طرابلس. اما اهالي طرابلس فراسلوا الافضل امير الجيوش بمصر يلتمسون منهُ والياً يكون عندهم ومعهُ الميرة في البحر فسيَّر اليهم شرف الدولة بن ابي الطيب والياً ومعهُ الغلة وغيرها مما تحتاج اليهِ البلاد في الحصار فلما صار فيها قبض على جماعة

من اهل ابن عمار واصحابهِ واخذ ما وجدهُ من ذخائرهِ وآلاتهِ وغير ذلك وحمل الجميع الى مصر في البحر فاذًا نهب اموال آل عمار والٍ من قبل مصر لا الافرنج على قول ابن الاثير وان كان ذلك الوالي قد ارسل الامتعة الى مصر وترك الكتب فيكون ذلك لقلَّة احتفاله بها وان صحَّ ان آل عمار هم الذين جمعوا تلك الكتب فالذين جمعوها من ولاة طرابلس لا من آحاد الناس فهي مكتبة عموميَّة ويبقى امر الاختلاف بين ما نقلهُ تاريخ المماليك وما نقلهُ تاريخ سورية في اسم الجامع لهذه الكتب وبين المؤرخين الذين استشهد بهما تاريخ سورية . وان كان اغفال المؤرخين الصليبيين القدماء ذكر احتراق هذه المكتبة هو لسترزلة قومهم فلماذا اغفل ذكرهُ ابن الاثير وابن خلدون ايضًا . هذه امور تستحق البحث المدقق اما القول ان تلك المكتبة كانت تحوي ثلاثة ملايين من المجلدات اي اكثر مما تحويهِ المكتبة الخديوية ستين ضعفًا فمما يصعب تصديقهُ

الوحام والاجنة

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

ذكرتم في الجزء الماضي في ما اجبتم بهِ عن السؤَال الاول انهُ لم يقم دليل علمي حتى الآن على تأثير الوحام في الاجنَّة على ما جاء في قصة لابان . والمتعارف عندنا ان الوحام يؤَثر في الاجنَّة ويذكر الناس اشياء كثيرة غير عادية ظهرت في الاجنَّة ولا تعليل لظهورها غير ان امهاتهم توحمنَ عليها وهنَّ حوامل كأَنْ يولد الطفل وفي وجههِ علامة مثل التفاحة لان امهُ توحمت على التفاح وهي حامل بهِ او يولد وفي ذراعهِ علامة تشبه القثاء لان امهُ توحمت على القثاء . افلم يذكر العلماء ولا سيما الاطباء امثلة مثل هذه وكيف تعللونها

مصر باحث مستفيد

[المقتطف] نعم ذكر الكتاب امثلة كثيرة من هذا القبيل ذاهبين فيها الى ان وحام المرأة او ما يعرض لها اثناء الحمل يؤثر في جنينها جسدًا وعقلاً وقد جمعت الدكتورة فلورنس درسلر الامثلة التالية على ذلك

المثال الاول . قال الدكتور بنكوست ان امرأة رأت زوجها دخل بيتهُ ووجههُ وارم مشوَّه من لطمة اصابتهُ وكانت حبلى فولدت ابنةً وجهها وارم محمرٌّ

المثال الثاني . جاء في كتاب الاحاديث الطبيعية ان ولدًا حرق وجههُ وتشوه ورأتهُ

امهُ على تلك الحال وكانت حبلى فلما جاء وقت ولادتها ولدت جنينًا ميتًا ورأسهُ كبير بالنسبة الى جسمهِ وعليهِ نفاط كأنهُ محروق

المثال الثالث . روي الدكتور اشبرتن طمسن ان رجلاً اصيب بآفة واضطرَّ الجراح ان يخرق رقبتهُ ويدخل فيها انبوبًا يتنفس منهُ . ورأتهُ امرأة حامل وهو على تلك الحال فرسخ في ذهنها ان جنينها سيولد مشوَّهًا كذلك فولدت طفلاً في عنقهِ شق كالشق الذي رأتهُ في عنق ذلك الرجل

المثال الرابع . خُرقت اذنا ابنة للبس الحلق وكان ذلك على غير رضى امها وكانت حبلى واعتقدت انها ستلد طفلاً اذناهُ مخروقتان فكان كذلك

المثال الخامس . ولد طفل وفي احدى قدميهِ اربع اصابع فقط وهي فاقدة الاصبع الاصغر وقالت امهُ انها لما كانت حبلى كان زوجها يقص اظافر قدمها فلما وصل الى الاصبع الاصغر قال لها مازحًا الاحسن قص هذا الاصبع فصرخت وابعدت رجلها عنهُ غنجًا فاثَّر ذلك في جنينها

المثال السادس . روى الدكتور مانجن ان امرأة رأت قريبًا لها والطبيب يعلق لهُ العلق (الدود) على رجله فنفرت من ذلك وكانت حبلى فولدت طفلاً على رجلهِ شيءٌ كالعلقة لاصق بها

المثال السابع . كان ولد مغرمًا بالمراهنة يراهن رفاقهُ التلامذة على كل شيء ويكسب منهم ولا يكلم احدًا الاَّ ويدعوهُ الى المراهنة حتى ضاق بهِ معلموهُ ذرعًا وقاصُوهُ كثيرًا ولم يرتدع وبحث طبيب العائلة عن سبب ذلك فوجد ان ابا الولد كان يركب خيل الرهان ويعلم ايهما يسبق غيرهُ ويخبر زوجتهُ لكي تذهب وتراهن وكانت تفعل ذلك دائمًا وهي حبلى بهِ ثم تركت الرهان وترك زوجها ركوب الخيل واحترف حرفةً اخرى وولد لها اولاد آخرون ولكنهم لم يكونوا مثل الولد الاول المغرم بالرهان

المثال الثامن . كان رجل سائرًا مع امرأتهِ في غابة ليلاً ورأيا شيئًا خافت المرأة منهُ وطلبت من زوجها ان يهرب بها وكانت حبلى في شهرها السادس اما هو فامعن نظرهُ في الشيء الذي اخافها فوجد انهُ رجل سكران ملقى على الارض يتمرَّغ ثم ولدت تلك المرأة ابنة معتوهة كالسكران

المثال التاسع . قال الاستاذ فولر اصيب ولد على رأسهِ بشيء سلخ جلدهُ وأُتي بهِ الى البيت على هذه الصورة ورأتهُ امهُ وكانت حبلى فولدت طفلاً مشوَّهًا معتوهًا

المثال العاشر . قال الدكتور بنكوست ان امرأة أُجبرت على رؤية عجل يذبح ويشق بطنهُ وتنزع امعاؤه منهُ وكانت حبلى فولدت طفلاً امعاؤه خارجة من بطنهِ

المثال الحادي عشر . راى رجل خنوصاً صغيراً راكضاً يفتش عن امهِ ليرضع منها فضربهُ بعصاً كسرت ظهره فزعق زعيقاً مؤلماً وكانت زوجتهُ واقفة ورأت الخنوص وسمعت صوتهُ وقالت انهُ خرق اذنيها وكانت حبلى فلما ولدت جاء طفلها فاقداً قوة الحركة في ظهرهِ ورجليهِ

ويقال ان ام نبوليون بونابرت رافقت زوجها في واقعة حربية وهي حامل وساعدتهُ في تنظيم حركات الجنود فولد نبوليون وهو رجل حرب لا يهنأ لهُ عيش الا اذا كان على ظهر جوادهِ يدير الوقائع الحربية ولم يكن احد من اخوتهِ كذلك

وان موزار الموسيقي المشهور كانت امهُ تشتغل بالموسيقى وهي حامل بهِ ثم اهملت الموسيقى بعد ولادتهِ فجاء اولادها بعده ولا ميل لهم اليها

وان ابنة مدام بورغي مامو كانت تغني كل اغاني الاوبرا وهي في الثالثة او الرابعة من عمرها من غير ان تتعلَّم وذلك لان امها كانت تغني في الاوبرا وهي حامل بها

وزارح كلبرن الرياضي كان نابغة في الرياضيات وسئل وهو في السادسة من عمرهِ كم يوم وكم ساعة في ١٨١١ سنة فاجاب بعد ثلث دقيقة ان فيها ١٥ . ٦٦١ . يوماً و١٥٨٦٤٣٦٠ ساعة وقد كانت امهُ حائكة تحيك المنسوجات المعرَّقة وتعدُّ الخيوط وتحسب ما يلزم ان يؤخذ من كل لون لتكوين العروق اللازمة وكانت تفعل ذلك وهي حامل فولد حسَّاباً كما تقدَّم

وقد ذكروا امثلة كثيرة من هذا القبيل ولاسيما من حيث ولادة الاولاد الجمال المنظر المعتدلي القامة وتعليل ذلك بان امهاتهم كنَّ ينظرن الى الصور الجميلة في حال حملهن

ولكن من يمعن نظره في هذه الحوادث وامثالها يجد ان التعليل يوجد بعد الحادثة اي اذا وُلد ولد وفيهِ علامة ما غير عادية ادَّعت امهُ انها رأت ما يشبه تلك العلامة فأثَّرت رؤيتها فيها . ولم يُذكَر ان امرأة حبلى رأت شيئاً غير عادي وانبأت هي او غيرها ان طفلها سيولد وفيهِ ما يشير الى ذلك الشيء وكتب ذلك في كتاب حتى لا يقع غلط فيهِ لانهُ لا يعتمد على الذاكرة في هذه الاحوال

واذا كانت الحوادث المتقدّمة صحيحة فلماذا لا تتخذ قاعدة لتحسين نوع الانسان شكلاً ولوناً وقواماً وعقلاً وادباً

ثم اننا رأينا بعض العلامات التي قيل انها تشبه شيئاً رأتهُ الحامل فلم نرَ اقل مشابهة بينها وبين ما قيل انها تشبههُ فقد قيل لنا مرةً ان ولداً ولد وفي جنبهِ صورة سمكة وان ذلك

ناتج عن ان امهُ اشتهت السمك وهي حامل وحكّت جنبها فجاء ابنها وفي جنبهِ صورة سمكة ولما اظهرنا الريب في ذلك اتونا بالولد وكان فتًى فرأينا في جنبهِ مسحة بنيَّة اللون لا تشبه السمكة الاَّ في كونها طويلة ضيقة وليس لها رأس ولا ذنب ولا زعانف ولا شيء من مقومات صورة السمك

وقيل لنا مرةً اخرى ان ولدًا ولد وفي عنقهِ صورة كبش من كبوش التوت الشامي لان امهُ اشتهت التوت الشامي وهي حامل وحكّت عنقها فرايناهُ واذا في عنقهِ شامة كبيرة مستطيلة لا غير ولم نرَ شبهًا بينها وبين التوت الشامي

وكل حامل ترى امورًا كثيرة تؤَثر فيها مدة حملها وتشتهي اشياء كثيرة فلو كان ذلك يؤَثر في الجنين لما وجدنا حدًّا لاختلاف صور الناس المقدّمة لاشكالهم

ولا شبهة ان حالة الحامل الصحيَّة تؤَثر في جنينها وانهُ يرث منها ومن ابيهِ واسلافهما كل ما فيهِ جسدًا وعقلاً وانهُ قد يشذُّ عنهما في اشياء لان الدقائق التي تصل اليهِ منهما تتركَّب فيهِ على صور تخالف الصور الاصلية التي كانت فيهما . ومن المحتمل ان الامور التي تؤَثر فيها تأثيرًا شديدًا تؤَثر في جنينها ايضًا ولكن الذي يعلم كيف يتكوَّن الجنين وكيف انهُ خلاصة تاريخ والديهِ واسلافهما منذ الوف والوف الوف من السنين ولم تثبت صفة فيهِ الاَّ بعد ان توالت على اسلافهِ اعقابًا كثيرة لا يصدّق ان رؤْية المرأة وجه زوجها وارمًا تؤَثر في جنينها فيولد ووجههُ وارم

ومهما يكن من ذلك فالامر يحتاج الى تحقيق علمي وتجارب كثيرة حتى يثبت او ينفى بالامتحان

مذهب جديد في تعليم اللغة العربية

يا صاحبي المقتطف الزاهر

سلام عليكما ونفع الله بعلمكما الناس وبعد فارجو ان تفسحا للبيان الآتي مجالاً في صحيفتكما الزاهرة

لا يخفى على المشتغلين بتعليم اللغة العربيَّة او تعلمها انها من اصعب لغات الارض وان الناشيء قد يصادفهُ من العقبات ما لا يصادفهُ من اللغات الاوربيَّة واكثر المصاعب وضوحًا في اللغة العربيَّة ما يأتي :

١ ان اللفظ الواحد فيها يمكن ان ينطق على صور مختلفة ويؤدي معاني مختلفة فلفظ (فهم) مثلاً يقرأ فُهِمَ وَفِهِمَ وفَهْمٌ وعلم يقرأ عَلِمَ وعُلِمَ وعَلَمٌ وعِلْمٌ

٢ ان اللغة المكتوبة والمقروءة في الكتب الصحيحة واسفار العلم وصحف الادب ونحوها هي اللغة الفصحى وهنالك غيرها لهجات شائعة بين عوام الناس وتختلف باختلاف الاقليم الواحد والقطر الواحد ويشاهد برهان ذلك ان فلاح مصر لا يمكنهُ فهم لغة رجل من المغرب الاقصى او الجزائر او الشام · فالعربي في الحقيقة يتعلم لغة للتفهم اليومي ولغة لفهم ودرس الكتب الفصيحة

امام هاتين الصعوبتين الرئيسيتين في اللغة العربية ترى ان اللغات الاوربية خالية من كل ما يصعب تعلمها ويجعل السبيل اليها وعرًا · فالاختلاف بين لغتهم المكتوبة والمقروءة والمتكلم بها قليل او معدوم ولذلك تجدهم يكتبون تحاريرهم ونحوها بدون تكلف وتراهم يجيدون فيها باقل عناء. زد على ذلك ان اللفظ الواحد عندهم لهُ رسم واحد فلا يلتبس بغيرهِ ففي الانكليزية مثلاً لا يمكن ان يحتمل اللفظ الواحد من المعاني غير الدال عليهِ وذلك لعدم الاحتياج الى ما يماثل الشكل في اللغة العربية

ولذلك قد فكر الضعيف صاحب هذه السطور في استنباط طريقة مبنية على اساس بيداجوجي بها يسهل تعليم وتعلم اللغة العربية الشريفة ولو ان اهل التفكير واصحاب الرأي السليم يشفعون مقالي هذا بما يبدو لهم استحسانًا واستهجانًا وما يؤيد كلاً لعملوا الواجب نحو لغتهم الشريفة

في الفرق الاولى من المدارس النظامية لا يستحسن تعليم شيء من اجرومية اللغة العربية ونحوها وصرفها بل الاولى ان ينصرف التلاميذ الى الامور الآتية

(اولاً) حفظ قسم كبير من القرآن الكريم بالضبط والشكل الكامل مع فهم المعاني فهمًا جيدًا ويكون الحفظ عن ظهر قلب

(ثانيًا) حفظ ما استسهل واستعذب وجاد من اشعار العرب بعد الاسلام ويكون الحفظ عن ظهر قلب المتعلم

(ثالثًا) تكليف التلاميذ بانشاء منشآت مع ادخال المناسب مما حفظوهُ

(رابعًا) الخطابة يلزم ان يتدرب عليها التلاميذ وتفرض لها جوائز · ومناظرة بعضهم بعضًا واستعمال اللغة العربية الفصيحة في جدلهم من اول الامور الواجب الاهتمام بها اهتمامًا عظيمًا · ويلزم ان لا يتكلم التلاميذ مع معلميهم او مع رفاقهم الاَّ باللغة الفصحى

ويجب في الفرق الراقية ان يكثر التلاميذ من عمل المنشآت ويتدربوا على تنسيق الموضوعات وابداء الآراء بطريقة منطقية راقية في قالب فصيح عذب . وبالجملة فاني ارى ان التلميذ يلزم ان يرمي بسهمين في آن واحد اولهما حفظ الكثير من اشعار العرب وكلامهم والقرآن الكريم ثانياً استعمال العربية الفصحى كثيراً في المخاطبة والجدل

اما النحو والصرف وعلوم الادب فتعلم في الفرق الارقى وبالطرق البيداجوجية الصائبة فيلزم ان تستخرج القواعد من امثلة كثيرة لا ان يذكر المدرس القاعدة ويمثل لها بامثلة قليلة مبتذلة ويلزم الاعتناء والاكثار من التمرينات فالتمرين ليس كمثلهِ شيء في ازالة العقبات وتذليل المستعصيات ولقد يأتي الانسان بالمدهش والمعجب ويصير وحيد دهرهِ وعالم عصرهِ باي شيء مهما صعب وذلك كلهُ بالتمرن عليهِ والتدرب فيهِ

مصر حسين لبيب

مدرسة المعلمين الخديوية

تنازع البقاء بين العلوم

نشر المقتطف في الجزئين الاول والثاني من مجلدهِ الرابع والثلاثين الصادرين في شهري يناير وفبراير (كانون الثاني وشباط) من العام الحاضر جانباً من مقالة علميَّة وضعها الدكتور شبلي شميل لتكون مقدمة لكتاب عزم على اعادة طبعهِ وهو " شرح بخنر على دارون " . وقد اشتملت هذه المقالة على آراء غريبة لم يأتلف قراءة شيء يماثلها الناطقون بالضاد الآ من تفرَّغ منهم لدرس العلوم العالية واشتغل بالبحث عن الحقائق الملموسة وغير الملموسة

ولما كنت من الذين اهتموا بمثل هذه المباحث وقد عكفت على تمحيصها منذ حداثة سني جئت اذكر هنا ما جال في خاطري عند مطالعتي تلك المقالة . فاقول

ان المقالة التي وضعها الدكتور شميل اذا حللناها الى عناصرها الاخيرة على مذهب الكيماويين او نظرنا في مقدماتها ونتائجها على مذهب المنطقيين رأيناها تحوم حول نقطة واحدة هي هدم ركنين من اركان الاجتماع البشري وهما : الدين والشرع : وما ذلك الآ ليقيم مقامهما ركناً اوهى من خيط العنكبوت هو : الطبيعة ونواميسها المسيّرة : ولم يراعِ حضرتهُ الفرق العظيم الموجود بين الحوادث البشريَّة والحوادث الطبيعية فاراد ان يطبق الشرائع البشرية التي اساسها الاختيار على الشرائع الطبيعيَّة التي اساسها الاضطرار . وقال " ان

درس نواميس الاجتماع البشري يجب ان يكون بدرس الجسم الحي نفسهِ ووضع نظاماتهِ على نفس نظاماتهِ لان الاجتماع البشري نفسهُ ليس الأجسماً حيًّا ايضاً "

ومن الغريب انهُ مع اعتقادهِ وجوب المبادرة الى هذا التطبيق فقد اقرّ هو نفسهُ "ان الاجتماع (البشري) عاقل والطبيعة عمياء" فلا نعلم كيف انهُ يريد تطبيق ما هو عاقل على ما هو اعمى الا اذا حاول سلخ الحرية من افراد بني البشر ونزع مسؤُوليتهم عن اعمالهم . وبغير ذلك يكون هذا التطبيق معمًّى لا يدرك لهُ معنًى

اما البراهين التي اتى بها لهدم ما بناهُ عقلاء بني البشر في مدة تتجاوز عشرين قرناً فهي قولهُ :

" ان العلوم الدينيَّة تفصل الانسان عن هذا العالم حتى لا يعود يعتد بهِ وهو بالواقع لا يفصلهُ عنهُ شيء لا حتى ولا الموت . والحياة الادبيَّة تصوّرهُ فوق حقيقتهِ بكثير كما تتخيل هي لا كما هو فتزيدهُ ضعفاً على ضعفهِ وتجعل حياتهُ تكلُّفاً ورياء . وهاتان الحياتان الخياليتان تصطدمان في الاجتماع بالحياة العملية التي لا يسع الانسان ان ينفك عنها طرفة عين فتتنازعهُ كل هذه العوامل المتناقضة وتمزّقهُ اي تمزيق وهو الخاسر في هذا التنازع . ولو بُني دين الانسان على علاقتهِ الحقيقية الطبيعيَّة وأُقيمت آدابهُ على نواميس الاجتماع الطبيعي لكان في كل اعمالهِ متناسباً مع نفسهِ متوافقاً مع تعاليمهِ ...... ولاستغنى عن تلك الفلسفة النظرية المضللة المبنية على الخيال واقام مقامها الفلسفة العملية الهادية الى السبيل القويم "

وقد توصل الدكتور شميل بتلك الاقوال الى هذه النتيجة العظمى وهي : " ان العلوم الطبيعيَّة هي المعول الذي يزعزع اركان تلك العلوم (اي العلوم النظرية) ويهدم بنيانها . بل هي المخل الذي سيتكفل بقلب ما بني عليها من النظامات المتقلقلة والشرائع التي هي سبب كل ما نراهُ من الاضطراب في الاجتماع لفقد التوازن "

وانتقل حضرتهُ من الطعن على العلوم النظرية الى الطعن على الشرائع الثيوقراطية والشرائع الاوتوقراطية . كأَن الفلاسفة هم الواضعون لتلك الشرائع المسؤُولون عما سببتهُ من استبداد السلطتين الدينية والمدنية واعتدائهما على حقوق الافراد ومصلحة الجمهور استئثاراً بمنفعة ائمة الدين والدنيا الشخصية

اما حدة انتقادهِ العلوم الفلسفيَّة والادبية فقد بلغت بهِ الى درجة حملتهُ على اعتبارها عقبة في سبيل ارتقاء الانسان وجعلتهُ يشدّد النكير على الحكومات التي " ما زالت تؤَيدها

وتنشئ لها المعاهد وتقيم لها الجامعات التي يتغنى بها بعض الشعوب حتى اليوم والتي لا يزول ضررها الاَّ بانقراضها "

ومن غريب غلوّهِ بالحمل على هذه العلوم انهُ استحسن حرق مكتبة الاسكندرية لان كتبها الثمينة لم تكن سوى " آثار مخلدة لضلال الانسان صارفة اياهُ من النظر في ما لديهِ من الحقائق مانعة لهُ عن السلوك في الصراط المستقيم "

وحيث ان هذه العلوم لم تفقد بين الناس بحرق تلك الكتب لاهتمام الخلف بلمّ شعثها وجميع شتاتها في كتب طبعت اليوم طبعات تعدّ بعشرات الوف الالوف فقد تمنّى لها الانقراض بل تنبأ بانقراضها في القريب العاجل بقولهِ : " ولكنها ستنقرض وستنقرض معها كل تلك العلوم العالية كما يسمونها اليوم حتى يعفو اثرها وهي من يوم خطا الانسان الخطى الصائبة في علوم الطبيعة في احتضار سيجهز عليها وكل سنة في هذا السبيل بمقام قرون في الماضي "

فاذا صدقت نبوة الدكتور شميل تمّ لا محالة هذا الانقراض بفعل ناموس تنازع البقاء وتغلب العلوم الطبيعية القوية على العلوم النظرية الضعيفة . واصبحت هذه العلوم الاخيرة حلقة من الحلقات المفقودة في سلسلة المعارف البشرية سوف يبحث عن آثارها خلفاؤُنا كما نحن اليوم نبحث عن الحلقات المفقودة في سلسلة الكائنات

ثم انهُ لما كان تاريخ العلوم الفلسفية لا يتجاوز القرن السابع قبل المسيح وكان من ثم دهر هذه العلوم نحو ستة وعشرين قرناً فاذا حسبنا كل سنة الآن في سبيل احتضار هذه العلوم بمقام ثلاثة قرون على الاقل فتكون المدة الباقية لها اقل من تسع سنوات على حساب الدكتور شميل

على انني أرى الدكتور شميل قد نسي اليوم ما قالهُ امس . والاَّ لما ناقض بقولهِ هذا ما قالهُ في رسالتهِ " الحقيقة " التي طبعها منذ اعوام . فقد جاء في تلك الرسالة ما يأتي بالحرف الواحد :

" نعم ان صلاح الهيئة الاجتماعية صلاحاً تامًّا لا يكون الاَّ اذا كان العلم الصحيح تامًّا عامًّا ولا بدّ منهُ يوماً ما الاَّ ان ذلك بعيد جدًّا وربما لزم لهُ الوف من الاجيال لان ازالة ما رسخ في العقل من المبادىء في الوف من الاجيال ليست بالامر السهل "

فاين التسع السنوات الباقية لانقراض العلوم النظرية على ما قالهُ الدكتور شميل من الوف الاجيال التي ظنها ضرورية لتغلب العلوم الطبيعية عليها ونشر هذه العلوم بين الناس ورسوخها في عقولهم

وخلاصة القول ان الغرض الوحيد الذي من اجلهِ وضع الدكتور شميل مقدمتهُ التي نحن في صددها هو تعظيم العلوم الطبيعية وجعلها وحدها معيار الحق وقسطاس اليقين . فدعاها العلوم الحقيقية الصحيحة . ووصف العلوم الاخرى البشرية بالالفاظ الآتية : مماحكات لا طائل تحتها . مخافات يتنزل العقل فيها الى حد التبذل . مخرقة وتفنن في المشاغبات لا دليل مرشد الى الحق رادع للباطل . هيام في الاوهام لا ضابط لها الا الخيال . حكايات كحكايات الغول والعنقاء " وشبهها " بسلم واهي الدرجات متناخر القوائم . وزينة كزينة القبور المكلسة . وصقال كصقال العقدة التي لا تحل " وغير ذلك من التشابيه الغريبة في بابها .

اما العلوم الطبيعية فهي على رأيهِ . " ام العلوم الحقيقية . ويقتضي ان تكون ام العلوم البشرية وان تقدَّم على كل شيء وان تدخل في تعليم كل شيء . فيصح نظر الانسان حينئذٍ في لغاتهِ وينتظم قياسهُ بدليلهِ وتقوى فلسفتهُ بارتباطها وتعلو ادابهُ لانطباقها على العمل وتصلح شرائعهُ لتطبيقها على نظام الاجتماع الطبيعي ويتسع عقلهُ لانطلاقهِ من قيودهِ المتناقضة وتقييدهِ بنظام واحد شامل ذي اتساع لا يحد وتصح احكامهُ لترتيبها على القياس الصحيح ويسرع ارتقاؤهُ لانطباقهِ في سيرهِ بهِ على نواميس الكون "

ومعنى ذلك أن الانسان اذا نقب الارض ليدرس معادنها واكبَّ على انبيق الكيماويين ليحلل المادة الى عناصرها ودخل الغابات ليبحث عن انواع اشجارها وطباع حيواناتها وعالج مشراط الجراح وتعاطى صناعة الطب او البناء او الفلاحة والزراعة فقد صار لغويًا فصيحًا . ومنطقيًا مصيبًا . وفيلسوفًا حكيمًا . واديبًا فاضلًا . ومشترعًا عادلًا . كيف لا والعلوم العملية هي العلوم الحقيقيَّة الصحيحة ذات المعجزات العجيبة . وما العلوم الاخرى الَّا اوهام في اوهام . ومخافات اضلت العقل واغوتهُ . وافسدت الآداب والاخلاق . وبلبلت نظام الاجتماع . وبذرت بذور البغضاء والشحناء بين الافراد والجماعات . اما العلوم الطبيعية فهي التي سوف تغير اخلاق الانسان وفلسفتهُ وشرائعهُ وحكوماتهِ وغير ذلك مما يتعلق بهيئتهِ الاجتماعية

ان العاقل منا اذا نظر في مثل هذه الاقوال نظر المتبصر يقف حائرًا مدهوشًا مما يراهُ فيها من الغلو والتهور اللذين تجل عنهما الابحاث الفلسفيَّة والعلمية

ولا يخفى ان كلام العلماء لا يقدَّر الَّا بقدر ما يتضمنهُ من الادلة والبراهين لا الطعن والتنديد . ومن ثم كان اول واجب على من يذهب مذهبًا حديثًا في العلوم او الفلسفة يناقض

المذاهب المتقدمة ويريد ان يبرهن على بطلان هذه وحقيقة تلك ان يراعي شعور خصومهِ فلا يقول لهم ان آراءهم : هذيان . ومخافات . ومماحكات . ومشاغبات . وتضليل وغير ذلك من الالفاظ التي تمس باحساسهم دون ان تقوي حجتهُ

قلت ذلك لان الحدة التي يبديها الدكتور شميل كلما ذكر العلوم النظريَّة لو ابداها عالم نظري فقال عن مذهب العلماء الطبيعيين مثلاً : انهُ تضليل وغواية وهذيان وغير ذلك من قوارص الكلام لتحول البحث العلمي الى مشاحنة وضاعت الفائدة المقصودة منهُ . وليس هذا بمقام من جعل وجهتهُ البحث عن الحقائق العلمية للاستفادة والافادة

هذا ما جال في خاطري عندما طالعت المقدمة التي وضعها الدكتور شميل تعظيماً للعلوم الطبيعيَّة

ولست انا ممن ينكرون ما للعلوم الطبيعية الجليلة من اليد البيضاء على الهيئة الاجتماعية وما يجنيهِ منها بنو البشر من الفوائد الجزيلة . وغاية ما اتمناهُ ان تسير هذه العلوم بجانب الفلسفة لتتفقا معاً على تبديد غياهب الجهل السائد بين الناس في ما يختص بامر دينهم ودنياهم

واستلفت هنا نظر الدكتور شميل الى حقيقة غابت عنهُ وهي ان الانسان يدرك العلوم بعقلهِ . وان الفلسفة هي علم العقل . فالفلسفة اذاً هي ام العلوم لا العلوم الطبيعية كما يدعي

نعم انني استأذنهُ ان اجول معهُ في ميدان البحث عن موضوع هو مدار الخلاف بين العلم والفلسفة ونقطة النزاع بين العلماء الماديين والعلماء الروحيين وهو : وجود النفس : وذلك اذا فسَّح لي المقتطف الاغر مجالاً لوضع مقالة عنوانها "المادة والروح" كنت قد شرعت في نشر جانب من مقدماتها في مجلة ادبيَّة منذ احدى عشرة سنة ثم توقفت لتوقف تلك المجلة عن الظهور

يوسف شلحت

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

فصل الخطاب في الرجل والمرأة (١)

هذا موضوع كان قد كتب فيهِ بعض المتأدبين في جرائد هذه المدينة (بيروت) ايام لم تكن هذه القصيرة اليد قادرة على الدخول في مثلهِ موضوعاً . وكثرت المحادثات فيهِ في الاجتماعات المنزلية على ما عرفت وظهر للمرأة انصار يوجبون مساواتها للرجل ظن انها في حالها المألوفة لها من صدور الدهر منحطة قدراً عن الرجل . وقد جرى امامي محادثة بين سيدتين متعلمتين تمادتا فيها وانتهتا الى أن المرأة ينبغي ان يكون لها من الحقوق في مناصب الحكومة مثل ما للرجل فمنذ ذلك اليوم جعلت افكر في هذه المسألة والتفت اثناء تفكيري فيها الى الحالة الاجتماعية التي جرت عليها المرأة من اوائل الدهر الى يومنا هذا فخطر لي ما انا كاتبتهُ وهو فيما اعتقد القول الفصل في المسألة المشار اليها فاقول

من المعلوم لكل احدٍ ان الرجل والمرأة مصدر الكائنات البشريَّة والعلة في بقائها فاذا انقرض احدهما انقرض النوع البشري برمتهِ حتى لا يبقى على سطح الغبراء ديَّار ولا نافخ نار وقد صاغ الخالق الحكيم كلاًّ منهما صيغة مناسبةً لما اراد بهِ كما صاغ كل واحدةٍ من المشاعر الخمس صيغةً لا يتحصل المقصود من تلك الحاسة الاَّ بها

وهذا المبدع الذي لا حدود لحكمتهِ . ولا تخوم لقدرتهِ قد جعل البشر طبقات وجعل كلَّ طبقة محتاجة الى غيرها فكانت الحاجة هي الرابطة بين تلك الطبقات . فالملوك على مقامهم هم في حاجةٍ الى رجال السيف والقلم او الى الجند والوزراء . والاغنياء مع بسطة ثروتهم هم في حاجة الى الفقراء . وترى الجهال من اية طبقة كانوا في حاجةٍ الى العلماء والمرضى في حاجةٍ الى الاطباء ولا رزق لهؤلاء الاَّ العلل والاسقام فكأنما كرومهم و بساتينهم وحقولهم الحمى وذات الجنب والنقرس وانتفاخ الكبد ومرض القلب وهلمَّ جرًّا الى سائر

(١) للكاتبة الاديبة المرحومة انيسة كريمة الاستاذ سعيد الخوري الشرتوني

انواع المرض . وللفقراء اعمال ضرورية لا يستطيع الاغنياء أن يقوموا بها . فهل من غنيّ يكفيك مؤُونة الزرع والحصاد والدياس والطحن والخبز ام هل من متمول يحمل لك الامتعة الى منزلك

ولكن الغنيّ يجلب لك القمح ويبيعك اياهُ بربح فلولاهُ لكان يتعسر عليك او يتعذر جلب القمح من البلاد القاصية اعوام القحط فهذا بثروتهِ نفعك لينتفع منك . وعلى هذه القاعدة وزّع الخالق الحكيم اعمال الحياة بين الرجل والمرأة وبتعاونهما واتحادهما يحفظ النوع وتستتب احوال البيوت ويستمر الكون معمورًا

ماذا اراد الخالق بالمراة

اذا نظرت المرأة الى الغرض العظيم الشان الذي كونت تكوينًا كافلاً القيام بهِ رأت انها منبت الورى كلهم اجمعين من ضعيف وقوي ومسكين وغني وجاهل وعالم وسوقة وملك . وعلمت علم اليقين انهُ لم يأتِ العالم رجل الاَّ خاضعًا لسلطانها منقادًا لحكمها لائذًا برأفتها مستخرجًا رزقهُ من ثدييها . لا ملجأ لهُ سواها . وانها هي اوَّل استاذ لهُ واول حاكم عليهِ فما على وجه البسيطة من ملك لم يكن اول عهدهِ بالدنيا تحت يد المرأة وما من سلطان لم تعرك المرأة اذنهُ او تضرب خدهُ بكفها فاذا التفتت اختي المراة الى ما ذكرت رأت انها في مقام عالٍ في الاجتماع الانساني بل رأت انها احد ركني الكون العظيمين واذا نظرت الى ذلك حق لي القول ان من العجب العجاب ما يقرأُ من المقالات لبعض النساء اللواتي يطلبن اعمال الرجال كالقضاء مثلاً مع ان الطبيعة تشهد بغير لسان ان الصيغة التي صيغت عليها المراة لم تعدها لمثل ما تطلب نساء البلاد الزاهرة الحضارة المستأثرة بحمل راية المعارف والصنائع دون سائر بلاد الله كلها جمعاء

عظمة العمل الذي اعدت لهُ المرأة

يا لهُ من عمل خلقت لهُ المرأة ينحطّ عندهُ كل عمل الا وهي التي خلقت لوقاية النوع البشريّ من الفناء والاضمحلال . وهي التي برئت لأن تهدي الى الدنيا الذريَّة البشريَّة الكافلة بقاء العمران ولان تربي الاطفال وتهذبهم ولان تكون ربة البيت وسائسة العائلة . وحسبي من بيان عظمة هذه الامور ان أُوجه نظر المطالع اليها وحسبُ الرجل ان يراعي ذلك حتى يقدّم للمرأة حقها من التكريم بل حتى يضعها على منصَّة التعظيم ولما كان ذلك هو الغرض الذي ارادهُ الخالق بها صوّرها صورةً تسهل الطريق الى ادراكهِ فهي مقضيّ عليها بالنظر الى جبلتها ان تكون ملازمةً بيتها معتنيةً بشؤُونهِ قائمةً بتدبيرهِ كافية الرجل مؤُونة

الاهتمام بما يلزم البيت من اعداد المآكل والملابس وتربية الاطفال ليكون هو متفرغاً للاشغال الخارجية التي يستخرج منها نفقة عيالهِ . وعلى وجه الاستطراد اقول ومن عجيب امر المرأة اقبالها على تربية طفلها بلذَّة فوق لذَّة اقبالها على التحلي بعقود الجمان وقلائد الياقوت والخروج الى المنازه في العجلات الفاخرة فلو لم يكن للمرأة من صنيع في الكون الاَّ هذا لوجب ان تكرَّم لولا نهي الله عن السجود لغيرهِ بالسجود . فايّ رجل لم يكن وديعة رحمتها وامانة رأفتها ام ايّ رجل ليس هو ابن امرأةٍ . فهي امّ العلماء والاطباء والفلاسفة . وهي امّ العظماء والوزراء . وهي امّ الملوك . وهي امّ رؤساء الدين ووعاظ المنابر . وهي امّ الرسل والانبياء كما انها امّ اهل الزراعة والصناعة والتجارة فلا ادري كيف تطلب بعد هذا مساواة الرجل ومشاركتهُ في ما لم تخلق لهُ من الامور والاعمال

ما يجدر بالمرأة ان تباري الرجل فيهِ

ان الذي يجدر بالمرأة ان تباري الرجل فيهِ انما هو الاعمال التي يصلح لها كيانهُ وكيانها من نحو الكتابة والشعر والتصوير والنقاشة مما لا يدفع العامل الى التعرُّض للاعمال الشاقَّة . وفي الحقّ ان من بنات جنسي من بارينَ الرجل في الكتابة والشعر كالخنساء وابنتها عمرة وجليلة بنت مرَّة زوجة كليب واخت جسَّاس قاتلهِ وعمرة بنت دُريد وعمرة الخثعميَّة والفارعة بنت شدَّاد والفارعة بنت طريف وفاطمة الخزاعية ولُبانة ومحبوبة ومفضَّلة الفزاريَّة وميَّة بنت ضرار . وميَّة بنت عتيبة واسماء بنت ابي بكر الصدّيق الى كثيرات غيرهنَّ ممن حفظت اسماؤُهنَّ بما بقي لهنَّ من الشعر

وليس في الادباء من يجهل مقام الخنساء ومقام جليلة والفارعة بنت طريف وليلى الاخيليَّة . واذا اردت الاطلاع على ما لهؤُلاء الشواعر وغيرهنَّ من الشعر فعليك بديوان الخنساء الذي نشرتهُ المطبعة اليسوعية وضمَّت اليهِ قصائد في الرثاء لستين شاعرة من شواعر العرب . وتتبَّع كتب التراجم فترى عدة شواعر مثل عليَّة بنت المهديّ العباسيَّة اخت امير المؤمنين هارون الرشيد التي توفيت سنة ٢١٠ للهجرة فهذه لها ديوان شعر ومثل عائشة الباعونية صاحبة البيتين المشهورين وهما

بنى سلطاننا برقوق جسرًا … بعدل والعباد لهُ مطيعه
مجاز بالحقيقة فاسلكوهُ … وامر بالسلوك على الشريعه

والباعونية هذه من اصحاب البديعيَّات

وكما بارت الرجل المرأة الشرقية في الكتابة والشعر فقد بارتهُ المرأة الغربية ايضاً كالسيدة

سيفينه وابنتها وحفيدتها وللسيدة سيفينه عشرة مجلدات من الرسائل التي كتبتها الى ابنتها وهي عند الافرنج مثل مضروب في السهولة والانسجام وقد ذكر المقتطف ترجمتها ورسم صورتها

ومن كاتبات الافرنج السيدة منتنون التي طبعت رسائلها من بعد موتها والسيدة ستايل وهي اشهر النساء والمؤلفات في القرن الثامن عشر الى كثيرات غيرهنَّ

وقصارى القول ان استمرار النوع البشري في دار الدنيا قائم باثنين الرجل والمرأة فهما الركنان اللذان لا تعمر الارض بدونهما وان كلاً منهما ميسر بالصورة التي صُوّر بها لضروب من اعمال الحياة لم يتيسر لها الآخر · وان من الاعمال ماهو موافق للاثنين وعلى هذا مشى الناس من صدور الدهر ولم يزالوا عليهِ الى اليوم ولن يزالوا ما بقوا فلا يظنن بعض اخواتي من اديبات العصر ان المرأة لا تستوفي حقها من الكرامة الاَّ بمساواة الرجل ومشاركتهِ في كل ما اهلتهُ الطبيعة للانفراد بهِ كالجنديَّة وصناعة البناء وصناعة الحدادة وسوق العجلات

فان العناية بتدبير البيت وترتيب احوال العائلة اس للراحة والاطمئنان وسبب لتفرغ الرجل لما يتعاطاهُ من صناعة او تجارة او خدمة وهو مما انفردت بهِ المرأة وهذا على اهميتهِ لا يُعدُّ شيئًا بالقياس الى ما تهدي الى الدنيا من النسل وتعنى بتربيتهِ وتحتمل المشاق في سبيل تنشئتهِ

فاكتفي ايتها المرأة الحكيمة بالاستقلال بحمل هذا العبء العظيم الذي من اجلهِ يجب على الرجل ان يقدم لك أقصى ما يتصوَّر من التكريم

واما هذه الآراء الجديدة فلا أراها الاَّ من باب مخالفة الطبيعة ولا يُعرَف في الكون عمل خالف الطبيعة ونجح

وعلى سبيل الاستطراد اقول ان من شوائب هذا العصر ان جمهور اهلهِ يتهالكون على الجديد ولو باطلاً وينفرون من القديم ولو حقًّا وهو انحطاط عقليّ يزري باهل عصرٍ يسمونهُ عصر العلم · فسبيل كلٍّ من اهل العصر ان يعرض على عقلهِ ما يراهُ من الاقوال الجديدة المخالفة لعادات او قواعد او نواميس قديمة ويوازن بين الجديدة والعتيقة حالاً ومآلاً ونتيجة وسببًا ومسبّبًا وعليهِ قبل ان يفضّل الجديد ان يكرّر هذه الموازنة مرَّات فاذا رأى ان الصواب اتباع الجديد اتبعهُ والاَّ بقي مستمسكاً بالقديم وهو على علم ان من الصواب البقاء عليهِ وان من الضلال اتباع الجديد الذي ولَّدهُ الغرور

هذا ولقد صار من اللائق ان نفكه المطالع بشيءٍ من شعر ربَّات الخدور مما نتراءى فيهِ العواطف الشريفة تحت ضياء العقل ونور الحكمة · قالت جليلة من قصيدة تخاطب بها

اخت كليب وهي من طيّب الشعر

يا ابنةَ الأَقوامِ ان لمتِ فلا تعجلي باللوم حتى تسأَلي
فاذا انتِ تبيَّنتِ الذي يوجب اللومَ فلومي واعذلي
ان تكن اختُ امرئٍ ليمت على شفقٍ منها عليهِ فافعلي
جلَّ عندي فعل جساس فيا حسرتي عمَّا انجلى او ينجلي
فعل جساس على وجدي بهِ قاطعٌ ظهري ومدنٍ أَجلي
لو بعينٍ فقئت عينٌ سوى أُختها فانفقأَت لم احفل
تحمل العين أَذى العين كما تحمل الامُّ اذى ما تفتلي
يا قتيلاً قوَّض الدهر بهِ سقف بيتيَّ جميعاً من علِ
هدمَ البيت الذي استحدثتهُ وسعى في هدم بيتي الاول
ليس من يبكي ليومين كمن انما يبكي ليوم ينجلي
يشتفي المدركُ بالثار وفي دركي ثاريَ ثكل مثكلي
انني قاتلةٌ مقتولةٌ ولعلَّ الله ان يرتاح لي

وقالت الخنساء من قصيدة ترثي بها اخاها صخراً

يا عينُ جودي بالدمو ع المستهلاَّتِ السوافح
فيضاً كما فاضت غرو بُ المترعات من النواضح
وابكي لصخرٍ اذ ثوى بين الضريحة والصفائح
رَمساً لدى جدث تذي ع بتربهِ هوجُ النوافح
السيدُ الجحجاح وابنُ الساده الشمّ الجحاجح
الحاملُ الثقل المهمَّ من الملمات الفوادح
الجابرُ العظم الكسيرَ من المهاصرِ والممانح
الغافر الذنبَ العظيم لذي القرابة والمماح

الى ان تقول

فاصابنا ريبُ الزمان فنالنا منهُ بناطح
فكأَنما امُّ الزما نُ نحورنا بمدى الذبائح
فنساؤنا يندبن نوحاً بعد هادية النوائح
يندبن فقد اخي الندى والخير والشيم الصوالح
والجود والايدي الطوا لِ المستفيضات السوامح

فالآنَ نحن ومن سوا نا مثل اسنان القوارح

وقالت الفارعة بنت طريف ترثي اخاها الوليد الذي قتل سنة ١٧٩ للهجرة من قصيدة

بتلِّ نهاكى رسمُ قبرٍ كانهُ على جبلٍ فوق الجبال منيفِ
تضمَّن مجداً عدْمليًّا وسؤْدداً وهمة مقدامٍ ورأي حصيفِ
ايا شجر الخابور مالك مورقاً كانك لم تجزع على ابن طريفِ
فتىً لا يريد العزَّ الاَّ من التقى ولا المال الاَّ من قناً وسيوفِ

الى ان تقول

حليف الندى ما عاش يرضي بهِ الندى فان مات لا يرضى الندى بحليف
خفيف على ظهر الجواد اذا غدا وليس على اعدائهِ بخفيف
وما زال حتى ازهقَ الموتُ نفسهُ شجاً لعدوٍّ او نجاً لضعيف

وقالت الحارثية بنت زيدٍ ترثي زياد بن عبيد القرشيّ من قصيدة

صلى الالهُ على قبرٍ وطهرهُ عند الثوية تسفي فوقهُ المورُ
زفت اليهِ قريش نعش سيدها فثمَّ كل التقى والبر مقبور

الى ان تقول

قد كنت تغشي وتعطي المال من سعة ان كان بيتك أضحى وهو مهجورُ

هذا وفي ظني ان المرأة اذا كتبت في التربية والتهذيب يتيسَّر لها نظراً الى مزاولتها لذلك ان تذكر طرقاً تصل بالمربي الى ما ينوي من تقويم الطباع بصورةٍ لطيفةٍ ويخطر لها في هذا الباب ما قد لا يخطر للرجل لعدم مزاولتهِ لتربية الصغار وتثقيفهم. فعسى بعض اديبات العصر ان تندفع لتأدية هذه الخدمة على احسن ما ينتظر في مثل هذا الزمان ويعلم الله ان في نفسي شوقاً الى انشاء رسالة في هذا الموضوع وان كنت معترفة بقصر اليد لكن وقتي اقلُّ من ان يسع الاشتغال بمثل هذا الموضوع المحتاج الى اعمال الفكر للاتيان بما هو افضل نتيجةً من كلام من تقدَّموا فأدعهُ لمن يسمح لها الوقت ان توفيهُ حقهُ والسلام . انتهى

طعام لا طبخ

قال احد العلماء اننا مهما عملنا لا نستطيع ان نعمل احسن مما عملتهُ الطبيعة فكل طعام نستطيبهُ من غير طبخ يجب ان يؤْكل من غير طبخ . فالفاكهة على انواعها نأْكلها من غير طبخ ونستطيبها فهي اصلح لنا واكثر غذاء اذا اكلناها ناضجة في حالتها الطبيعية من غير طبخ

وقد علل بعضهم ذلك بقولهِ ان نور الشمس يذخر في الاثمار قوة حيوية وهي التي تفيدنا في اكلها ولو كنا لا نستطيع استخراجها منها وتحليلها بالوسائط الكيماوية

وقد بين المسيو جاك لوب في مباحثهِ الفسيولوجية الحديثة ان الجسم يستمد من الاطعمة القوة الكهربائية التي تكون مذخورة في دقائقها وان الحرارة المتكونة من الطعام ليست الشيء المقصود بالذات بل هي من نتائج الاشتعال وانما الامر المقصود بالذات هو القوة الكهربائية التي ينالها الجسم من الطعام

ويقول بعضهم ان تناول هذه القوة الكهربائية او الحيوية من الاطعمة اسهل وهي غير مطبوخة منهُ وهي مطبوخة ولاسيما اذا كانت من الفواكه والاثمار والحبوب وان حرارة النار وقت الطبخ تزيل هذه القوة من الطعام كما تزيل منهُ قوة النمو ولكن حرارة الطبخ لا تتلف كل دقائق الطعام كما تتلف بعضها فيغتذي الآكل مما لا يتلف منها واما ما يتلف فيصير فضولاً لا فائدة منهُ بل قد يكون منهُ ضرر ولا سيما في الشيخوخة اذ يكثر الحامض البوريك في الجسم فتكثر فيهِ المواد الجامدة التي تصلّب الاوعية الدموية وتزيل مرونتها وليونتها

وسواء كان اصحاب هذا المذهب مصيبين في قولهم او مغالين فيهِ فلا شبهة ان الاثمار كلها كالعنب والتين والتفاح والبرتقال وما اشبه يجب ان تؤكل بلا طبخ وهي كذلك الذ منها مطبوخة . والبزور مثل الجوز واللوز والبندق يجب ان تؤكل من غير طبخ وهي كثيرة الغذاء جدًّا . وهاك قائمة ما في بعض الفواكه والبزور والحبوب والاثمار من عناصر الغذاء وهي البروتيدات اي المواد النيتروجينية التي يتكون منها اللحم . والسكر والكربوهيدرات والدهن والهلام اي المواد التي يتكون منها الدهن وتتكون منها حرارة الجسم

	ماء	سكر	بروتيدات	هلام
الاناناس	٨٩	٨٫٩	٠٫٤	٠٫٢
البرتقال	٨٧	٤٫٥	٠٫٨	
البرقوق (خوخ)	٨٥	٣٫٦	٠٫٤	٤٫٦
التمر (بلا نوى)	٣٨	٥٧	٣٫٠	٠٫٢
التفاح	٨٥	٨	٠٫٥	٠٫٠٥
التين الاخضر	٧٩	١٨	١٫٥	٠٫٥
التين اليابس	٣١	٥٠	٤٫٠	٢٫٠
الخوخ (الدراقن)	٨٠	٤٫٥	٠٫٧	٧٫٠

الزبيب	٣٢	٥٥٫٠	٢٫٥	٠٫٧
الشمام	٩٠	٨	٠٫٥	
الكرز	٨٠	١٠٫٠	٠٫٧	١٫٨
العنب	٧٨	١٤	٠٫٦	٠٫٢
الكمثرى (اجاص)	٨٣	٨٫٢	٠٫٤	٣٫٣
الليمون الحامض	٨٩	٢	٠٫١	
البطيخ	٩٢	٧	٠٫١	
المشمش	٨١	٤٫٥	٠٫٥	٦٫٥
الموز	٧٧	٢٠٫٠	١٫٥	

	ماء	بروتيدات	دهن	كربوهيدرات
البندق	٣٫٧	١٥٫٦	٦٥٫٠	١٣٫٠
الجوز	٢٫٥	٢٧٫٦	٥٦٫٣	١١٫٧
الجوز الهندي	١٤٫٠	٦٫٠	٥١٫٠	٢٨٫٠
الزيتون	٦٧	٢٫٥	٢٢٫٧	٣٫٤
الصنوبر	٣٫٤	١٤٫٦	٦٢٫٠	١٧٫٣
الفستق	٤٫٢	٢٢٫٣	٥٤٫٠	١٦٫٠
الفول السوداني	٥	٣٢٫٦	٤٧٫٣	١٢٫٦
القمح	١٠	١٤	٢	٧٢
الكستنا الجاف	٦	١٠٫٧	٧٫٠	٧٤٫٠
اللحم المدهن	٥٤	١٦	١٦	٠
اللحم الهبر	٧٢	٢٢	٦	٠
اللوز	٤٫٨	٢١٫٠	٥٤٫٩	١٧٫٣
العدس	١١٫٦	٢٦	١	٥٩
الفول	١٢٫٦	٢٢٫٥	١٫٨	٥٩٫٦
اللوبياء اليابسة	٩٫٥	٢٤٫٦	١٫٥	٦٢٫٧
البيض	٥٦٫٥	١٣٫١	٩٫٣	
اللبن	٨٧٫	٣٫٣	٤	٥

فترى من ذلك ان الفواكه والاثمار والحبوب ليست قليلة الغذاء لان الغذاء يتوقف على ما فيها من البروتيدات والسكر والهلام والدهن وان اللحم لا يفوقها في ما فيهِ من الغذاء ففي كل مئة درهم من اللحم الهبر ٢٢ درهماً من البروتيدات وستة دراهم من الدهن والباقي ماء . وفي كل مئة درهم من الجوز اكثر من ٢٧ درهماً من البروتيدات و٥٦ درهماً من الدهن فالجوز اكثر غذاء من اللحم وقس على ذلك اللوز والفستق والصنوبر وما اشبه والفول واللوبياء والعدس واكثر هذه المواد يؤكل نيئاً من غير طبخ كما لا يخفى

باب الزراعة

الزراعة المصرية منذ مئة عام

(٨)

زراعة البرسيم والحلبة والجلبان والبسلة

زراعة البرسيم من اهم زراعات القطر المصري واعمها . وهي تشمل جميع انحاء الوجه البحري حيث يخصص لها قسم متسع من الاراضي . وتتناول ايضاً معظم جهات الصعيد لغاية فرشوط فلا تتخطاها لان الاراضي وراءها سريعة الجفاف فلا تصلح لهذه الزراعة

ويزرع البرسيم دائماً في الاراضي التي تروى بالراحة فيبذرون بزره في الارض قبل حرثها وهي بعد رطبة بمعدل ثلث اردب لكل فدان ويبدأون يقطعونهُ في الصعيد بعد ٤٠ او ٤٥ يوماً من زرعهِ . وفي اسيوط والمنيا تباع الحشة الاولى منهُ بستة وعشرين فرنكاً لكل فدان . وبعد ذلك بثلاثين يوماً يقطعونهُ ثانية وتباع هذه الجنية بخمسة فرنكات

اما الاراضي التي يخصصونها لاخذ التقاوي منها فلا يقطعون زرعها الا مرة واحدة يبيعونهُ أخضر ويتركون ما يفرخ الى ان ييبس فيدرسونهُ بأن تدوسهُ الثيران على البيادر . فيستغلون عادةً نحو اردبين بزراً من الفدان يباع الاردب منهُ بثلاثين غرشاً الى خمسين

وفي مديرية الفيوم حيث الري بالآلات اسهل مراساً يزرعون البرسيم في حقول الذرة قبل جناها بشهر فيقتصرون على زرع ¼ اردب في كل فدان يقوم بامرهِ نفر واحد في نصف

يوم . فينمو البرسيم سريعاً ويجنون الجنية الاولى حالاً بعد حصد الذرة . وتكفي غلة الفدان من البرسيم اليابس (الدريس) لعلف ثورين شهراً

وبعد الجنية الاولى يسقون البرسيم مرتين في اثناء عشرين يوماً ويقطعونهُ ثانية فيجنون منهُ اقل من المرة الاولى . وفي بعض الاوقات يأخذون " التقاوي " من الجنية الثالثة فتبلغ غلة الفدان بزراً بين اردبين وثلاثة . واذا كان الفيضان موافقاً يستخرجون البذار من الجنية الرابعة على معدل اردب ونصف للفدان

اما في الجيزة فيزرعون اردباً في كل فدان . ويبدأُون بقطع البرسيم بعد زرعهِ بستين يوماً ويقطعونهُ مرة ثانية بعد ذلك بثلاثين يوماً ومرة ثالثة بعد الثانية باربعين يوماً . وتبلغ غلة الفدان من الجنيتين الاولى والثانية ٧٧ فرنكاً غير انهُ اذا كان الفيضان شحيحاً لا يقطعون البرسيم الاّ دفعتين ويحفظون بالجنية الثانية لزرع بزرها في السنة المقبلة فيستغل من الفدان نحو اربعة ارادب بزراً اما بدرس البرسيم بالنورج واما بدقهِ بالنبابيت

ويباع من البرسيم الاخضر في الشتاء واليابس في الصيف مقادير وافرة في القاهرة حيث يكثر استعمالهُ علفاً للخيل والحمير

اما في الوجه البحري فاكثر ما يستعمل البرسيم علفاً للثيران والجواميس ترعاهُ بعد زرعهِ بستين يوماً . ويؤجر الفدان المزروع برسيماً بستة عشر الى تسعة عشر فرنكاً . وفي مديرية المنوفية يقدّر ما يكفي لرعاية ثورين يومياً بمعدل $\frac{1}{24}$ من الفدان

وفي اطراف الدلتا الشمالية يزرع البرسيم حالاً بعد استغلال الارز ولا يلزم من اعداد الارض لزراعتهِ سوى سقيها . ويقطعون الجنية الاولى بعد الزرع بستين يوماً . والثانية بعد ذلك بثلاثين يوماً وكل من الثالثة والرابعة بعد عشرين يوماً من التي قبلها

وعلى العموم يقتضي لري عشرة افدنة ستة ثيران ويخصصون لرعايتها مزروعات ثلاثة افدنة ويجففون غلة السبعة افدنة الباقية فتكفي علفاً للثيران والجواميس جانباً من السنة . ويقدر ما ترعاهُ البهائم عموماً من البرسيم هنالك بثلاثة اخماس البرسيم وما يجفف علفاً بخمسيهِ

الحلبة — انما تزرع الحلبة في الجهات المتوسطة من القطر المصري في الوقت الذي يزرع فيهِ البرسيم وطريقة زرعها كطريقة زرعهِ . ويختلف جنيها عن جنيهِ بكونها تجنى قلعاً لا قطعاً وذلك بعد زرعها بستين او سبعين يوماً فيطلقون عليها حينئذٍ البهائم فترعاها .

ويستفرخون جانباً من بزرهِ بنقعهِ في الماء يبيعونهُ على تلك الحالة للاكل

ويبلغ ما يزرع في الفدان من الحلبة ١/٤ ١ من الاردب وتباع مزروعات الفدان علفاً بنحو ٣٠ فرنكاً

وهي تبلغ حبّاً من اردبين الى خمسة ارادب تبعاً للمحل او الاقبال . ويدرسون سوق الحلبة اليابسة بالنورج ويستعملونها علفاً للجمال

الجلبان — تعدُّ الارض لزرع الجلبان على نحو اعدادها لزراعة العدس . ويزرعونها بمثل الطريقة التي يزرع بها البرسيم والحلبة . فيبذرون ٣/٤ الاردب منها في الفدان ويقلعونها خضراء بعد زرعها بستين يوماً فيطعمونها للبهائم . ويبلغ محصول الفدان بين ١٠ و ١٥ حمل جمل تباع جميعاً بستة الى ثمانية فرنكات

اما النباتات التي يخصصونها لاخذ " التقاوي " منها فتبقى مائة يوم قائمةً في الارض ويجنون من الفدان ٥ ارادب حبّاً . ويدرسون سوقها بالنورج فيستخدمونها علفاً للجمال فقط

البسلة — في جهات طيبة وقنا حيث تتعذر زراعة الجلبان بمقادير كافية يستبدلون الجلبان بالبسلة فيزرعونها في نفس الوقت الذي يزرع هو فيهِ ويكاد يكون مقدار جنى هذين الصنفين واحداً . وعندما يأخذ نبات البسلة في الجفاف يطلقون عليهِ البهائم على اختلاف انواعها ما عدا الخيل فترعاهُ . ويستبقون عشرهُ لاخذ " التقاوي " منهُ

وفي مديرية الفيوم حيث لا يقيم الفيضان كثيراً يزرعون الحلبة والجلبان والبسلة في حقول الذرة قبل ايناع هذه باربعين يوماً . ولا يروونها الاَّ في اثناء هذه المدة مع الذرة . واهل هذه المديرية يستعملون البسلة غذاء لهم

زراعة التبغ

تعليلهُ

شرحنا في الجزء الماضي كيفية زرع التبغ من حين بذر البذور في الارض الى حين قطف الورق وتجفيفهِ ووعدنا باستطراد الكلام الى تعليلهِ او معالجتهِ حتى يجود فانهُ مهما كانت الارض جيدة ومهما اينع نبات التبغ فيها لا يصير طيباً غالي الثمن ما لم يعالج جيداً وقت تجفيفهِ وبعدهُ حتى يختمر وتتولد فيهِ مواد كيماوية تجعل لهُ الطعم والنكهة الخاصين بهِ

وقد كان الشائع ان الحكومة المصرية ستلبي طلب نوّاب الامة الذين طلبوا ان تباح لهم زراعة التبغ في الجمعية العمومية. اما نحن فكنا نرجح انها لا تفعل وانها ان فعلت واشترطت ان تأخذ ثلاثين جنيهاً على الفدان الذي يزرع تبغاً كما عرض عليها بعضهم لم يستفد احد من زرع التبغ كما اوضحنا في الجزء الماضي. والظاهر ان الحكومة لم تكن تنوي اجابة هذا الطلب او انها عدلت عن اجابتهِ فقداخبرت الجمعية العمومية انها غيرعازمة على اباحة زراعة التبغ. وحبذا لو اهتمت من الآن بامتحان زرعهِ في مساحة ضيقة حتى اذا ثبت لها انهُ يكون جيداً مثل اجود انواع التبغ وانهُ يمكن تصدير مقدار كبير منهُ لم يبقَ ما يمنع اباحة زرعهِ وفرض ضريبة معتدلة على ما يزرع منهُ وعلى ما يصدر منهُ فيبقى دخلها على حالهِ ويزيد دخل القطر

وسواء شكت اوراق التبغ بخيط كما يفعل اهالي سورية او بسط النبات كلهُ واوراقهُ فيهِ او قطعت الاوراق حتى تبقى كل ورقتين متقابلتين عالقتين معاً ونصبت على عود افقي فانها تترك حتى تذبل وتجف ويجف ضلعها الاوسط وقد لا تجف كذلك في اقل من ثلاثين يوماً الاَّ اذا وضعت في الشمس بضع ساعات كل يوم فانها تجف حينئذٍ في بضعة ايام ومتى جفت الاوراق تقطع من الساق اذا كانت لم تزل متصلة بهِ وترصف بعضها فوق بعض وتترك حتى تختمر ويختار لرصفها كذلك يوم رطب وتبسط بسطاً حينما ترصف ورؤُوسها الى جهة واحدة ويكون ارتفاع كل عرمة قدمين او ثلاثاً وتغطَّى باوراق الموز وتوضع اجسام ثقيلة عليها وفي اليوم التالي تفتح هذه العرم ويغير وضع اوراقها اي ان الاوراق الموضوعة داخل العرمة توضع خارجها وذلك برصفها في عرمة أُخرى ووضع الاوراق التي كانت خارجاً في قلب العرمة. ويكرر ذلك مراراً كثيرة لكي لا يزيد الاختمار عن القدر اللازم ومتى مرَّ على العرم ثلاثون او اربعون يوماً تكون قد صارت في حالة صالحة فتفتح وتحزم حزماً في كل حزمة ثلاثون ورقة واهالي سورية يلفون مشاكيك التبغ لفّاً منتظماً ويربطونها ربطاً محكماً ولا بدَّ من ضغطها جيداً حين ربطها لكي لا يتخللها الهواء. واهالي كوبا يرشونها حينئذٍ بنقاعة التبغ اي ينقعون التبغ حتى يعطن ويبلى ويرشون ربط التبغ بنقاعتهِ ويضعونهُ بعضهُ فوق بعض

والخلاصة ان زراعة التبغ وقطفهُ وتجفيفهُ وتعليلهُ من الاعمال الصعبة التي تقتضي كثيراً من التعب والنفقة. فهل يقدم عليها اهل الزراعة في هذا القطر. هذا امر لا يعلم الاَّ بالامتحان ولا يحسن ان يجازف بهِ مجازفة

باب التقريظ والانتقاد

احكام الصكوك التجارية

يتضمن احكام البولسة (الكمبيالة) والسند المحرر لامر (الذي تحت اذن) وسند محل الاقامة والسند المحرر للحامل واوراق الحوالات الواجبة الدفع بمجرد الاطلاع عليها والاوراق المتضمنة امرًا بالدفع ورسالة الاعتبار والشك . الفهُ حضرة باسيل افندي جنادري المحامي امام محكمة الاستئناف المختلطة وفصل ابوابهُ تفصيلاً حسنًا والحقهُ بذكر بعض المصطلحات المصرية والعثمانية المتعلقة بهذا الموضوع وقد طبع بمطبعة العرب في مصر

اسباب الانقلاب العثماني

كتاب صغير الحجم كبير النفع الفهُ حضرة الكاتب السياسي الاديب محمد روحي بك الخالدي عضو القدس الشريف في مجلس المبعوثان بدأَهُ بتمهيد حسن في الفرق بين الانقلاب والثورة فبيَّن ان ما حدث في البلاد العثمانية اخيرًا انقلاب لا ثورة وان سببهُ الاستبداد الذي هو منبع الشرور ومنبع الاستبداد قصر الملك والخلافة . ويلي ذلك تاريخ الانقلاب الاخير من حين ابتدأَت اصولهُ في زمن السلطان محمود الى الآن وقد بين المؤلف ان اول مؤسس لحزب تركيا الفتاة هو مصطفى فاضل باشا ابن ابرهيم باشا وهذا ما اوردهُ في هذا الصدد

" اول مؤسس لحزب تركيا الفتاة هو مصطفى فاضل باشا ابن ابرهيم باشا المصري ثم صهرهُ خليل شريف باشا . ولد مصطفى فاضل في القاهرة سنة ١٨٣٠ م وحصل العلوم الجديدة حتى صار على جانب من العرفان والاضطلاع والوقوف على دقائق الامور . فخدم في مصر وبعد جلوس السلطان عبد العزيز بسنة عين ناظرًا للمعارف في الاستانة . ثم ناظرًا للمالية واجرى فيها عدة اصلاحات . وكان فؤَاد باشا قد انتدب حكمًا لفصل الخلاف الحادث بين مصطفى فاضل باشا واخوتهِ على تقسيم ميراث ابيهم فحصل بينهما موجدة وعداوة . فلما تولى فؤَاد باشا الصدارة تسبب في عزل مصطفى فاضل من نظارة المالية مع ما لهُ من

الخدم والاصلاحات المفيدة فشق ذلك على مصطفى فاضل وقدم للسلطان عبد العزيز خان لائحتهُ الشهيرة التي شدد فيها النكير على الاستبداد . وكشف الغطاء عن عورات الدولة . وبين اسباب الضعف والانحطاط وسوء الاستعمال بحرية لم يعتدها رجال المابين ولا سمعوا بمثلها قبل ذلك . ثم هاجر الى باريس سنة ١٨٦٥ ولحقت بهِ فئة من الشبان فاكرم مثواهم وانفق على تعليمهم . ونبغ منهم كثيرون في الادب والكتابة والسياسة . حدثني احدهم قال كنا في باريس في عيشة راضية لا يهتم الواحد منا بامر معايشهِ . فاذا فرغ من الدرس والتحقيق والمشاهدة عاد الى منزلهِ فوجد ما يحتاج اليهِ من الطعام والمنام . بخلاف احرار هذا الزمان الذين قاسوا اشد العذاب في امر معايشهم

فاشتغلت النابتة الجديدة بفنون الادب وعلوم التاريخ والسياسة والصناعات النفيسة . فنظموا الشعر والفوا القصص ونشروا المقالات في الجرائد . ونبغ منهم نامق كمال بك شاعر النشأة الجديدة واديبها وموجد الادب الجديد العثماني . ولد في الاستانة سنة ١٢٥٠ وقرأ في المكاتب وتعلم الفرنسية وصارت لهُ مهارة زائدة في الانشاء الذي نشر بهِ مقالاتهِ السياسية في الجرائد باسلوب مستحدث طريف هو من السهل الممتنع . واشعارهُ على نسق اشعار فيكتور هوجو في ظلب الحرية وتدبير المملكة واصلاح شؤُون الحكومة . ولهُ مؤَلفات كثيرة منها التاريخ العثماني الذي لم يطبع . وقصة وطن او سليستره التي تمثل اليوم في الاستانة وسلانيك بعد حدوث الانقلاب . وتوفي نامق كمال بك وهو متصرف في جزيرة ساقز سنة ١٣٠٥ ومنهم ضيا باشا الاديب الشاعر . وسعدالله باشا سفير فيينا الاسبق مترجم قصيدة لامارتين التي عنوانها (البحيرة) . ولهُ اشعار عصرية رائقة . ومنهم ابو الضيا توفيق بك الذي اصلح حروف الطبع وكتب الخط الكوفي . وطبع الكتب والرسائل والمجموعات بصنعة بديعة عجيبة لم تبلغها الى الآن مطابع الشرق ولا مطابع اوربا الشرقية . وعبد الحق حامد بك سفير بروكسل وصاحب قصة طارق بن زياد . وكثير غيرهم من الكتاب والادباء انصار حزب تركيا الفتاة الذي اسسهُ مصطفى فاضل باشا . ثم صهرهُ خليل باشا الذي جاء من مصر الى الاستانة وتوظف في نظارة الخارجية بسبب معرفتهِ الفرنسية وصار سفيراً في باريس وغيرها وناظراً للخارجية وتزوج باكبر بنات مصطفى فاضل باشا وهي الاميرة الشهيرة نازلي هانم التي اقتفت اثر والدها وزوجها الاول في تعضيد حزب تركيا الفتاة . وساعدتهُ بالمال والجاه هي وشقيقها الامير محمَّد علي باشا

والكتاب على هذا النسق من ذكر الذين لهم شأن في هذا الانقلاب وحبذا لو ذكر كل

الذين جاهدوا في سبيل الدستور واسماؤُهم مذكورة في المقطم الذي حارب الاستبداد منذ اول انشائهِ الى الآن

لبنان والدستور العثماني

رسالة مسهبة جمعت فاوعت وضعها حضرة الفاضل بولس افندي مسعد بحث فيها بحثاً سياسياً قانونياً تاريخياً في موقف لبنان ازاء الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده وبدأه بايضاح مذهبهِ او متمناه وهو

" ان يحتفظ اللبنانيون بامتيازاتهم الحاضرة — ان يطلبوا من الدولة العثمانية والدول الاوربية الست الموقعة على نظام لبنان اعادة حدود الجبل كما كانت في السنوات الاولى التي تلت فتنة سنة ١٨٦٠ — ان يطلبوا تنفيذ ما أُلغي من موادهِ او بطل العمل بهِ منها وذلك طبقاً لاعتراضات السفراء المدرجة في كل بروتوكول كان يحرر عند تعيين كل متصرف من متصرفي لبنان — ان يطلبوا تفسير هذا النظام لانهُ مبهم يمكن تأويلهُ كيفما شاءت السياسة — ان يطلبوا تعديلهُ من الدول بصورة يصير معها منطبقاً على احتياجاتهم وعلى روح العصر الحاضر — ان يحافظوا جهد طاقتهم على عثمانيتهم ويوردوا الشواهد الحسية على اخلاصهم للدولة العثمانية الدستورية وشدة تعلقهم بها ومشاركتهم لها في السراء والضراء — ان يؤلفوا منهم حكومة عادلة حازمة حكيمة رشيدة راغبة في خير لبنان رغبة حقيقية شعارها العدل والمساواة واحترام الحرية ومراعاة الحقوق الوطنية العامة تعمل لخير لبنان ومصلحتهِ بكل همة واخلاص — ان يزيلوا من بينهم عوامل التفريق والاختلافات المذهبية والطائفية ويؤلفوا جامعة لبنانية يكون غرضها التأليف بين عناصر الشعب اللبناني وتوحيد كلمتهِ في الشؤون العمومية والسعي الى ايجاد روح التآخي والتعاضد بين الطوائف المختلفة التي يتألف منها الشعب اللبناني وبث روح الوطنية الصادقة في صدور الناشئة اللبنانية والى انشاء الشركات الوطنية والمختلطة للقيام بمشاريع نافعة من شأنها ان ترقي البلاد مادياً وادبياً وتجعلها صالحة لان تصبح في مستقبل قريب مقصداً للمصطافين ومحجاً لطلاب النزهة والراحة والصحة من سكان القطرين الشقيقين المصري والسوري "

وما من احد من ابناء لبنان ومحبيهِ الاَّ ويتمنى لهُ ما تمناهُ المؤلف ولكن الاماني لا تروي من عطش ولا تشبع من جوع فعلى اللبنانيين ان يقرنوا القول بالفعل وان يسعى كلٌّ منهم الى تحقيق هذه الاماني بما يصل اليهِ جهدهُ

تاريخ سولو
THE HISTORY OF SULU

ذكرنا غير مرة ان حضرة الشاب الذكي الدكتور نجيب صليبي اللبناني انتظم في سلك الخدمة في الحكومة الاميركية فارسلتهُ الى جزائر فيلبين تخدمها خدمةً نصوحاً. ولم يكتفِ بالقيام بما يطلب منهُ بل بحث في لغة الاهلين وتاريخهم ونشرت حكومة فيلبين الآن كتاباً مسهباً وضعهُ في تاريخ جزيرة سولو احدى جزائرها وهي جزيرة صغيرة متوسط طولها ٣٢ ميلاً ومتوسط عرضها ١٠ اميال وهي بركانية الاصل ساحلها مؤلف من صخور مرجانية وقد قال احد واصفيها انهُ ليس في الارض بقعة تفوقها في جمال منظرها فان اراضيها تغطيها المروج الخضراء والحراج الغبياء ولا تحتاج الاَّ الى يد الصناع لتصيرها فردوساً ارضياً. وعاصمة الجزيرة مدينة جولو وسكانها الآن نحو الفي نفس وهم من امم مختلفة وبعضهم من العرب. وقد استخلص المؤلف تاريخ الجزيرة من كتابة قديمة عند وزير سلطانها واسمهُ الحاج بوتو عبد الباقي وهي مكتوبة بالملقية وقال كاتبها انهُ اتم كتابتها يوم الجمعة في الثامن والعشرين من ذي القعدة سنة ١٢٨٥ للهجرة

وفي الكتاب فوائد كثيرة تدل على ان الدكتور صليبي صار من مهرة الكتَّاب في الانكليزية

بطل المروءَة والسيف

تأليف المسيو فيفال الفرنسوي وتعريب حضرة المنشيء المجيد ادوار افندي مرقص اللاذقاني قال المعرب في ما ذكرهُ تمهيداً لها " اذا شاء القارىء ان يقف على اتم صورة للشجاعة الحسيَّة والادبيَّة والذكاء. واتم صورة للخبث واللؤْم مع سعة الجاه والذكاء ايضاً. واتم صورة لامانة الصديق والزوجة والام. واتم صورة للضغط والتضييق واستبداد الفرد بالفرد. وذلك كلهُ بشكل مقبول معقول. فليطالع هذه الرواية التي لها شهرة مستطيرة بين المطبوعات الفرنسوية وليعلم ان حجمها في الاصل هو ثلاثة اضعاف حجمها معربة لان المعرب رحم القارىء وكفاه مؤُونة الاطلاع على تفاصيل الاماكن والاشخاص وغيرها مما قد يهم القوم المؤلفة الرواية في لغتهم دون سواهم "

والمعرّب مشهور بين رجال الادب كما يعلم قرّاء المقتطف وقد افرغ هذه الرواية في قالب عربي قريب المأخذ

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا أن نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الاستهواءُ الكاذب

مصر . توفيق افندي الرافعي . طالعت في بعض المجلاَّت قصةً غريبة يخالها القارئ لاول وهلة خرافة وهي مترجمة عن الفرنسوية واصلها لاحد كتَّاب العصر ومؤَداها ان شابًّا احب فتاة رائعة الجمال وكانت هي تكرههُ وكان ماهرًا بالتنويم المغنطيسي فرآها مرةً وجعل يشير على ظهرها اشارات مستديرة فصارت ترتعش ثم نامت النوم المغنطيسي ثم كرر ذلك فصارت تخضع لارادتهِ وهي نائمة ثم تعصيهِ اذا افاقت فهل ذلك صحيح

ج . ان كان الرجل قد نوَّم الفتاة النوم المغنطيسي فلا بدَّ من انها تكون قد رأَتهُ ينومها او اعتقدت انهُ يعمل اشارات لتنويمها ولو لم يعملها لان نومها ليس ناتجاً عن اشاراتهِ بل عن اعتقادها ان واحدًا يستعمل الوسائط لتنويمها واذا نامت لا يتعذر على منومها او غيرهِ ان يأمرها باي امر كان فتطيعهُ وهي نائمة وقد يبقى تأْثير امرهِ فيها ولو استيقظت كما يحدث لمن يمشي في نومهِ فانهُ يسهل عليك ان تقودهُ كيفما شئت . اما اذا كان مراد الكاتب ان الرجل استهواها باشاراتهِ وهي لا تعلم فذلك غير صحيح بل هو موضوع وضعاً من المؤَلف

(٢) الاستهواءُ الصحيح

ومنهُ . أَلَّف بعضهم كتاباً قال فيهِ ان غلاماً اتَّهم اباهُ بقتل فتاة في قرية من قرى بلاد النمسا . وكان الابن مستهوًى فشهد على ابيهِ انهُ رآهُ يذبح الفتاة امام أناس آخرين ويطرحها في الماء فان صحَّ ذلك احدث ثورة في الدنيا وقلب نظام الحكومات فهل هو صحيح

ج . ان صحتهُ محتملة اي اذا كان انسان عصبيًّا فقد يستطيع مَن يمارس التنويم ان يستهويهُ ويجعلهُ يعتقد انهُ رأَى ما لا حقيقة لهُ واذا تكرَّر عليهِ ذلك فقد يبقى هذا الاعتقاد راسخًا في ذهنهِ ولو استيقظ

(٣) التنويم

ومنهُ . هل كتبتم شيئًا في هذا الموضوع في المجلدات الماضية من المقتطف . وكيف تكون ممارسة التنويم

ج . نعم كتبنا فصولاً كثيرة فيهِ ولا سيما في المجلد الثاني عشر والثالث عشر والحادي والثلاثين والثاني والثلاثين . ورأينا ان لا تتعلموا التنويم ولا تمارسوهُ ولو تعلمتموهُ . واكثر الاطباء الذين يمارسونهُ دجالون ولكن بعضهم امين يستعملهُ في ما يفيد ولهُ فوائد لا تنكر

(٤) اكل الطيور للحجارة

مونتريال باميركا . الخواجه جرجس حنا جرجور . يقال ان معد الطيور ولا سيما الحجل تهضم الحجارة حتى الصوان فهل لها فائدة من ذلك

ج . تلتقط الطيور الحجارة الصغيرة مع طعامها لكي تساعدها على هضم الطعام وبعضها يُهضَم مع الطعام حقيقة كالحجارة الكلسيَّة الرخوة وتتناول ابدانها الكلس منهُ لتكوين قشور بيضها

(٥) اول متكلم بالعربية

ومنهُ . من هو اول متكلم باللغة العربيَّة ومن هو اول من كتب بها

ج . يقول علماء اللغات ان الناس ابتدأوا ينطقون باصوات قليلة منذ الوف كثيرة من السنين ثم تدرجوا الى النطق بالكلمات القليلة المقاطع . ولما اقام كل فريق منهم في بلاد زماناً طويلاً وتنوعت لغاتهم على مرور الزمان كثر الفرق بين لغة وأُخرى فسكان جزيرة العرب اختلفت لغتهم عن لغات الشعوب الذين كانوا معهم من اصل واحد ثم اعتمد الذين جمعوها على فروع مخصوصة منها وهي اللغة العربية المحفوظة في الكتب فلم يكن وقت تكلمها فيهِ انسان واحد بل تولدت تولداً ومبدأُها قديم جداً قبل عصر التاريخ فلا يعلم زمنهُ وكذلك لا يعلم من اول من كتب فيها لان الكتابة العربية تدرجت تدرجاً وارتقت ارتقاء في القرون الاولى من التاريخ المسيحي من اختلاط العرب باليهود والسوريين ونحوهم من الامم التي تكتب لغاتها

ويغلب على ظننا ان احد دعاة الدين اليهودي او المسيحي كتب فصولاً دينية للعرب بلغتهم واستعمل لها حروفاً تشبه الحروف السريانية او النبطية ثم تنوعت وصار منها الخط الكوفي والخط النسخي ولكن التاريخ لم يحفظ اسمهُ في ما نعلم

(٦) اهم الاكتشافات

بغداد . الخواجه منصور ايار . ما هي اهم وافضل الاكتشافات التي تحت التجربة

ج . من اهمها وانفعها تحقيق فعل الراديوم في شفاء السرطان كما ترون في صدور الاخبار العلمية في هذا الجزء . ومن اهمها ايضاً اكتشاف علاج شافٍ من السل واكتشاف طريقة لاستخدام القوة المذخورة في جواهر الاجسام واكتشاف الاساليب التي تمنع تولد الحشرات والآفات المضرة بالزراعة واكتشاف طريقة لتوليد الاسمدة

اللازمة لخصب الارض وتكثير غلتها حتى ترخص مواد الطعام . واهم من ذلك كلهِ في نظرنا تحقيق ما يدعيهِ البعض من ان نفوس الاموات تبقى في هذا العالم تجول حول الاحياء وتؤثر فيهم احياناً فان حياة الانسان قصيرة جداً وهو يودُّ ان يعرف ما وراء الموت معرفة علمية اي معرفة مبنية على الحس والاختبار كمعرفتهِ ان السماد يزيد نمو المزروعات والنار تحرق الخشب والنور ينعكس عن المرآة والتطعيم يقي من الجدري . والمعرفة التي كذلك يسلّم بها كل احد مهما كان دينهُ وشعبهُ

(٧) هل تضيق الارض بسكانها

ومنهُ . هل يأتي يوم تضيق فيهِ الارض بسكانها نظراً الى ما نراهُ من مساعي الدول في تسهيل اسباب العمران وتقليل الوفيات

ج . لا نظن لان الذين تقل وفياتهم بانتشار الوسائل الصحيَّة تقل ايضاً مواليدهم باحجامهم عن اخلاف النسل وتحمل مشاق الولادة والتربية . واكثر هذا الاحجام من قبل النساء المتعلمات

ومما يسوء ذكرهُ ان الدول التي تسعى الى تلافي ذلك غرضها الاول ان لا يقل دخلها من رعاياها ولا تقل جنودها منهم

(٨) التمدن والدين

ومنهُ . هل ينتشر الدين و يتقوَّى بازدياد التمدن او يضيق نطاقهُ ويضعف

ج . اذا اريد بالدين الرسوم الدينية فالمرجح انها تقلّ وتضعف واذا اريد بهِ البر والتقوى اي الجري على موجب القول القائل حد عن الشر واصنع الخير اطلب السلامة واسعَ وراءها فهو يزيد انتشاراً ورسوخاً

(٩) العلم والتمدن

ملوي . سعيد افندي ابو البقاء الملوي .

هل العلم اصل التمدن وهل هو طبيعي في البشر او التمدن اصل العلم وهو اكتسابي

ج . اذا اريد بالعلم ادراك الجزئيات والتوصل منها الى الكليات فهو طبيعي الآن في الانسان ولعلهُ كان كذلك فيهِ دائماً اي ان اول من صحَّ ان يطلق عليهِ اسم الانسان كان يدرك بعض الجزئيات و يستنتج منها الكليات . واذا اريد بهِ تنسيق المعارف وتبويبها حتى تصير علوماً كالحساب والجبر والهندسة والكيمياء فهو اكتسابي ولو كان الكثير من اصولهِ بديهياً . والتمدن اكتسابي ايضاً وقد سار مع المعارف والعلوم وما من امة تحت السماء الا وعندها معارف تساعدها على معيشتها

تنبيه — لما عاد المقتطف الى الانتشار في الممالك العثمانية بعد الدستور زادت مسائل المشتركين جداً فسنوسع الباب المعد لها مبتدئين من الجزء التالي

باب الاخبار العلمية

المدرسة الكلية السورية الانجيلية

بعث الينا صديقنا الفاضل الدكتور هورد بلس رئيس المدرسة الكلية السورية الانجيلية المتجوّل الآن في اميركا نشرات نشرها هناك يظهر منها انهُ باذل جهدهُ هو وامناء المدرسة في جمع الاموال اللازمة من اهل البر لانشاء ثلاثة فروع اخرى في المدرسة فرع منها لتعليم الحقوق وفرع لتعليم الهندسة وفرع لتعليم الزراعة فتصير فروع المدرسة الكلية سبعة فرع العلوم بنوع عام ويدخل فيهِ كل العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية. وفرع تعليم الطب وفرع الصيدلة وفرع التجارة وهي الفروع الحالية ويضاف اليها فرع الحقوق وفرع الهندسة وفرع الزراعة ما عدا القسم الاستعدادي من المدرسة . ويظهر لنا ان حضرة الرئيس عازم على ان يباري والدهُ في هذا السعي المشكور فتصير المدرسة الكلية مثل اكبر الجامعات الاوربية والاميركية والفضل فيها كلها لكرم الاميركيين ولسعيهِ وسعي والدهِ والذين شاركوهما في ذلك من اساتذة المدرسة ومحبيها

معهد الراديوم والسرطان

اشار ملك الانكليز بانشاء معهد للراديوم في مدينة لندن لدرس خواصهِ وفوائدهِ ولاسيما في شفاء الامراض . وقد تبرع السر ارنست كاسل ولورد اڤياغ بان يقوما بكل ما يلزم لهذا المعهد من النفقات لبنائهِ وتأثيثهِ والانفاق عليهِ . والرجلان معروفان بكرمهما فالسر ارنست كاسل هو الذي وهب القطر المصري اربعين الف جنيه لاجل مستشفيات الرمد ولورد اڤياغ وهب معهد لستر الطبي ببلاد الانكليز مئتين وخمسين الف جنيه

وقد أُلفت لجنة لمعهد الراديوم اعضاؤُها السر فردرك ترفس الجراح الشهير والسر وليم رمسي الكيماوي الشهير والسر جوزف طمسن الطبيعي الشهير والسر لودر برنتن الطبيب الشهير والشريف ربرت سترت ابن لورد رلي والسر ملكم مرس المشهور بطب امراض الجلد واثنان آخران يعينهما السر ارنست كاسل ولورد اڤياغ

ولا يخفى ان عنصر الراديوم اكتُشف حديثًا اكتشفتهُ مدام كوري منذ بضع

سنوات . ووجدت له خواص غير عادية لا تماثلها خواص عنصر آخر من العناصر المعروفة بعضها طبيعي وبعضها كيماوي وبعضها طبي فبخواصهِ الطبيعيَّة ينير بعض الاجسام وبفيرلون الزجاج وبعض الحجارة الكريمة ويخترق الاجسام غير الشفافة . وبخواصهِ الكيماوية يجعل الاكسجين اوزوناً ويركب الاكسجين مع الهيدروجين لتكوين الماء ويحوّل الفصفور من الحالة الصفراء الى الحالة الحمراء ويطلق اليود من بعض مركباتهِ

اما خواصهُ الطبيَّة وهي التي يراد البحث عنها بنوع خاص في هذا المعهد العلمي فهي انهُ اذا وُضع على الجلد مباشرة او كان مفصولاً عنهُ بالثياب فقط كواهُ كيًّا كما تكويهِ اشعة رنتجن. وقد ازيلت بهِ الوَحَم والخيلان والكلف والثآليل ونحوها من الآفات الجلدية . وشفيت بهِ الآكلة (القرحة الاكالة) وهي نوع من السرطان الجلدي كما تشفى باشعة رنتجن ولكنهُ افعل من اشعة رنتجن اي ان فعلهُ يغور في الجلد اكثر من فعلها . وقد مرَّ الآن خمس سنوات على آكلة شفيت بهِ ولم تعُدْ . فهل يكون الدواء الشافي من السرطان . هذا هو الامر الذي يهتمُّ العلماء الآن بتحقيقهِ ولهُ بنوع خاص انشئ هذا المعهد العلمي فقد ثبت انهُ يشفي سرطان الفيران والمظنون انهُ يشفي سرطان الناس ايضاً

وعنصر الراديوم نفسهُ لم يستحضر حتى الآن والذي استحضر منهُ هو بعض مركباتهِ والكمية التي استحضرت منها قليلة جدًّا وهي غالية غلاء فاحشاً لصعوبة استحضارها وتزيد غلاء يوماً فيوماً فقد كان ثمن المليغرام من بروميد الراديوم خمسة جنيهات اي ثمن الغرام الواحد خمسة آلاف جنيه والآن صار ثمن المليغرام ١٨ جنيهاً اي ثمن الغرام الواحد ثمانية عشر الف جنيه . والتجارب الطبيَّة لا يمكن اجراؤُها ما لم تكن كمية الراديوم كبيرة ولذلك تعذر اجراء التجارب الكثيرة فيهِ حتى الآن . اما المعهد الجديد فيتكفل بتقديم النفقات اللازمة لاستخراج المقدار الكافي من الراديوم لاجراء هذه التجارب

ومركَّبات الراديوم كانت تستخرج حتى الآن من اكسيد الاورانيوم الموجود بكثرة في بلاد بوهيميا وقد رأوا الآن انهُ موجود ايضاً في ناحية كورنول من بلاد الانكليز في اكسيد الاورانيوم ومركبات الاورانيوم والنحاس ويختلف مقدارهُ فيها من غرام الى نصف غرام في كل طن . وما دام المال اللازم لاستخراج المقادير الكافية منهُ قد وجد الآن فلا بدَّ من اكتشاف كل فوائدهِ عاجلاً او آجلاً

واذا اثبتت التجارب ان الراديوم علاج شافٍ من السرطان فيكون اكتشافهُ في هذا الزمن الذي اتجهت فيهِ همة العلماء الى البحث عن حقيقة السرطان وسيرهِ وطرق

علاجهِ توفيقاً قليل النظير . ولكن تبقى ندرتهُ عقبة كبيرة في سبيل هذا التوفيق ولا ينتظر ان توجد مقادير كبيرة منهُ لانهُ سريع الانحلال فينحل كلهُ في نحو ١٧٠٠ سنة ولولا انهُ يتركب دواماً من عنصر آخر لما بقي منهُ شيء في ارضنا الى الآن

خزان اسنا

انشأت الحكومة المصريَّة قناطر في اسنا ترفع ماء النيل منعاً للشرق في مديرية قنا مهما انحط الفيضان . واحتفلت باتمامها في ٩ فبراير الماضي ووضع آخر حجر فيها الجناب الخديوي وكان احدنا الدكتور فارس نمر قد اختير لينوب عن الصحافة المصريَّة العربيَّة فانشأ مقالة في وصف الاحتفال نشرت في المقطم وسندرجها في الجزء التالي من المقتطف

مشاهير فرنسا

سألت جريدة البتي جرنال الفرنسوية قراءها ان يذكروا اسماء اثني عشر رجلاً من الذين يحق لهم ان يدفنوا في البنثيون (مدفن العظماء) فجاء اسم باستور في اول القائمة ونال من الاصوات ٣١٥٢٠٣ وبعدهُ اسم غمبتا وقد نال ٢٧٩٤٤٣ اي ان الفرنسويين قدموا رجل العلم على رجل السياسة

الزلازل والبراكين

لا تزال الزلازل تنتاب مسينا وكلبريا وقد حدثت فيهما زلزلة شديدة في ١٣ فبراير وجاء من بطرس برج انهم شعروا بزلزلة في سنش بولاية سكوم في ذلك اليوم ومن مكسكو ان بركان كوليما زاد ثورانهُ في ١٣ فبراير وجرت الحمم السائلة منهُ مسافة ميل وحدثت زلزلة في جنوبي البلغار في ٦ ا فبراير

السل من البقر

تعزز رأي القائلين ان سل البقر يصل الى البشر بواسطة لبنها فيصاب بهِ الاطفال الذين يسقون ذلك اللبن . وان ميكروب السل يصل الى لبن البقر المصابة بالتدرن من تلوثهِ ببرزاتها ونفسها فان في نفسها ومبرزاتها كثيراً من ميكروبات السل

هبة جديدة لركفلر

وهب المستر جون ركفلر مدرسة شيكاغو الجامعة مئتين وخمسين الف جنيه فصار كل ما وهبها اياهُ حتى الآن اكثر من خمسة ملايين جنيه

عيد داروِن

احتفل في مدرسة اكسفورد الجامعة في ١٢ فبراير بمرور مئة سنة على ميلاد داروِن وخطب الاستاذ بولتن فذكر المؤثرات التي اثرت في داروِن من رجال العلم المعاصرين لهُ مثل ليَل وهوكر وغراي . والتأثير العظيم الذي اثرهُ مذهبهُ في كل العلوم والفنون . وليس مذهب داروِن ان الانسان مرتقٍ

من القرد كما يزعم المتهكمون عليهِ بل ان ارتقاء انواع الحيوان والنبات قد حصل بواسطة الانتخاب الطبيعي اي بقاء الاصلح للبقاء وانقراض ما سواهُ

تعقيم اللبن

لم تبقَ شبهة في ان اللبن (الحليب) قلما يكون خالياً من ميكروبات الامراض ولا سيما في زمن الحر وانهُ هو سبب ما يصيب الاطفال الذين يسقونهُ من الآفات. والظاهر ان طرق التعقيم العادية لا تنقيهِ من كل الميكروبات لان بعضها يبقى حيًّا ولو اشتدت الحرارة التي يعقم بها حتى كادت تبلغ درجة الغليان. وقد استنبط الدكتور بود الدنماركي اسلوبًا لتعقيم اللبن حتى لا يبقى فيهِ شيء من الميكروبات وهو ان يسخن الى الدرجة ١٢٠ بميزان فارنهيت وينفذ فيهِ براكسيد الهيدروجين فتموت الميكروبات التي فيهِ كلها ويصب حينئذٍ في زجاجات معقمة وتسد سدًّا محكماً

الحكمة الشرقية

حُكم بالامس على رجل من رجال كوريا بالقتل لجريمة سياسيَّة فكتب قبل موتهِ الى ابنهِ يقول. " لقد حُكم عليَّ بالموت لاني جاهدت في سبيل الدفاع عن وطني وملكي فلا تجزع لذلك. وحينما يقضى الامر خذ جسدي وادفنهُ كما يدفن الفقراء ولا تحملني الى مدفن آبائي لان الشقة طويلة والنفقات طائلة واخوك صغير ويجب ان تنفق على تعليمهِ ونحن فقراء بل التمس من اقاربنا ان يعطوك قطعة ارضٍ على مقربة من السجن وادفني فيها ولا تخلع عني ثيابي التي البسها وانا في السجن ولا تحزن لموتي لان نهاية الابرار مجيدة ولو ماتوا قتلاً ولذلك لا اخجل من هذه الميتة لاني كنت على هدًى. وبعدما تدفنني اذهب مع اخيك الى الجبال واحرث الارض وعلّم الاولاد ولازم الاجتهاد والاعتناء فتسرَّ نفس ابيك "

وكانت امرأة عجوز مسكينة من نساء اليابان واقفة تنتظر قطر سكة الحديد وعلى ظهرها حمل ثقيل فلما وصل القطر هرولت اليهِ وكان الجنرال نوجي القائد الياباني الشهير واقفاً هناك مع اركان حربهِ فلما رآها حاد من طريقها وامسك بيدها وساعدها على الصعود الى القطر بعد ان سند حملها بيده وقال لها ديري بالك يا اماه. فشكرتهُ ولم تكن تعرف من هو وكان المسافرون معها يعرفونهُ فقالوا لها انهُ الجنرال نوجي فلما سمعت ذلك ابرقت اسرَّتها وحمدت ربها قائلة الآن اطمأن بالي فان ابني كان في جيشهِ لما قُتل والقائد الذي يشفق على عجوز مسكينة مثلي لا بد من ان يشفق على جنودهِ ويعاملهم بالحسنى

فهرس الجزء الثالث من المجلد الرابع والثلاثين

٢٠٩ مجلس المبعوثان والوزارة العثمانية
٢١٣ مجاري العاصمة
٢١٧ الهجاء . للاستاذ الشيخ سعيد الخوري الشرتوني
٢٢٣ الحشوية والوهابيَّة . لباحث دمشقي
٢٢٨ ندوة العلماء ودار العلوم
٢٣٢ الحالة المالية
٢٣٦ المكتشفات الكبيرة ووسائلها الحقيرة
٢٣٩ مناجاة الارواح
٢٤٦ غش البضائع
٢٤٩ الشعر الوصفي . للاستاذ عيسى اسكندر المعلوف
٢٥٤ معجم الحيوان . للدكتور امين المعلوف
٢٦٠ دولة آل عثمان
٢٦٩ انباء الاموات

---

٢٧٣ باب المراسلة والمناظرة * الدستور والاسلام . المكاتب العربية . الوحام والاجنة . مذهب جديد في تعليم اللغة العربية . تنازع البقاء بين العلوم
٢٨٩ باب تدبير المنزل * فصل الخطاب في الرجل والمرأة . طعام ولا طبخ
٢٩٧ باب الزراعة * الزراعة المصرية منذ مئة عام . زراعة التبغ
٣٠١ باب التقريظ والانتقاد * احكام الصكوك التجارية . اسباب الانقلاب العثماني . لبنان والدستور العثماني . تاريخ سولو . بطل المروءة والسيف
٣٠٥ باب المسائل * الاستهواء الكاذب . الاستهواء الصحيح . التنويم . اكل الطيور للحجارة . اول متكلم بالعربية . اهم الاكتشافات . هل تضيق الارض بسكانها . التمدن والدين . العلم والتمدن
٣٠٨ باب الاخبار العلمية * وفيه ١٠ نبذ